الباب الأول

المسيح الدجال وفتنته فى الأرض

obeikan.com

الفصل الأول

اهتمام الرسول ﷺ البالغ بالتحديث عن فتنة المسيح الدجال وظهوره

obeikan.com

يرى بعض المثقفين وجلهم من أصحاب الفكر العلمانى أنه بتحديث الناس فى موضوع المسيح الدجال وخروجه وفتنه نشغلهم بما لا أهمية له – فى عصرنا هذا – عن التفكر فى البحوث والمواضيع الأهم بكثير من الدين، ولأن خروج الدجال وفتنه أمر لا يزال بعيدًا فى عمق الغيب الغامض، ولا فائدة ترجى من بحثه وشغل الناس به وفى الحقيقة لا أجد ردا على هذا خيرا وأفضل من أحاديث رسول الله ﷺ، لتكون الفصل فى هذا الأمر الذى لابد من بيانه.

والمطلع على أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة يجد أنه أكد بشدة على ضرورة التفكير الجاد والاحتراز الشديد من فتنة الدجال، وبشكل قد لا نجد له مثيلاً من التأكيد والتشديد فى أحاديث أخرى.

ومما ورد فى هذه الأحاديث ما جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

«عوذوا بالله من فتنة المحيا، عوذوا بالله من فتنة الممات، عوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال»، وكان صلوات الله وسلامه عليه يستعيذ فى صلاته من فتنة الدجال، فقد روى عنه أنه كان يقول: **«اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة المحيا وأعوذ بك من فتنة الممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال»** مسلم عن أبى هريرة.

وروى مسلم فى صحيحة عن رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن فيقول: «اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات».

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال» النسائى - عن أبى هريرة وإذا تأملنا فى هذه الأحاديث الشريفة، نجد أن رسول الله ﷺ قد قرن الاستعاذة بالله من فتنة الدجال بالاستعاذة به عز وجل من أخطر القضايا والمصائر وهى:

قضية الحياة - قضية الموت - قضية عذاب القبر - قضية عذاب جهنم. وهل ثمة قضايا أو مصائر تتعلق بحياة الإنسان أخطر من هذه؟ ثم أضاف إليها فتنة المسيح الدجال وقرنها بها.

كما تلاحظ أن رسول الله ﷺ قد ربط ممارسة هذا الدعاء بالصلاة المفروضة على المسلم ويؤديها خمس مرات فى اليوم، كما ربطها بأول وأهم ركن من أركان الإسلام وهو الشهادة كما فى الحديث الأخير الذى مطلعه :«إذا تشهد أحدكم.. .. ..».

إذن.. لا ريب أن هذه الأحاديث الشريفة تؤكد بوضوح تام اهتمام رسولنا الكريم وتأكيده الشديدين على ضرورة تركيز المسلمين على الدعاء لله بأن يحميهم ويعيذهم من شر فتنة المسيح الدجال.

وجاء فى حديث آخر للرسول صلوات الله وسلامه عليه توجيه للمسلمين بأن يسارعوا مبادرين فى تناول أمور معينة بالفهم والعمل الصحيح، وأولها الدجال قال: «بادروا بالأعمال ستا: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة وخويصة أحدكم» صحيح مسلم - عن أبى هريرة.

وقد يتبين بوضوح من هذا الحديث الشريف، أن رسول الله ﷺ ، قد نبه المسلمين إلى ضرورة أن يبادروا مسرعين باهتمام بالغ لتفهم أمر الدجال وحقيقته حين يبدو لهم ما ينبأ أنه قد ظهر، وألا يرجئوا تفهمه والبحث فيه انشغالا عنه بغيره.

كما دعانا صلوات الله وسلامه عليه فيما يتعلق بأحاديثه خاصة عن الدجال إلى التفكر والتدبر العميقين فحقيقة الدجال لن تفهم وتنكشف بمجرد الاطلاع السطحى الذى لا تفكر فيه ولا تدبر، بل أكدَ على ضرورة إعمال العقل والفكر بشكل مركز، كى يتمكن المؤمنون من فهم وإدراك حقيقة ظهور الدجال وخطره وفتنه، فقال محذرا:

«.. إنما أحدثكم هذا لتعقلوه، وتفهموه، وتفقهوه، وتعوه.. فاعملوا عليه وحدثوا به من خلفكم. وليحدث الآخر الآخر فإنه أشد الفتن».

«رواه نعيم والحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود».

وجاء فى كتاب «(التصريح بما تواتر فى نزول المسيح» لمؤلفه محمد أنور شاه الكشميرى بعد أن أورد دعاء رسول الله ﷺ وتوجيهه الآمر بالتعوذ من شر فتنة المسيح الدجال قال :«وما هذا الاهتمام العظيم من النبى ﷺ بهذا الدعاء عملا وأمرا وتعليما، إلا لما حواه من التعوذ بالله من عظائم الأمور والأهوال الكائنة وهذا هو الحق ولا ريب. ولهذا جزم الإمام ابن حزم الظاهرى بفرضية قراءة هذا التعوذ بعد الفراغ من التشهد كما فى كتابه «الملحى» أخذا من ظاهر حديث أبى هريرة»).

وبعد أن روى الإمام ابن ماجة فى سننه حديث أبى أمامة الباهلى وفيه أوصاف الدجال وأحواله وأعماله ونزول عيسى بن مريم عليه السلام قال: «(سمعت أبا الحسن الطنافسى يقول: سمعت عبدالرحمن المحاربى يقول: ينبغى أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان فى الكتاب»).

وقال العلامة السفارينى فى شرح منظومته فى العقيدة الإسلامية «لوامع الأسرار البهية»: «(ينبغى لكل عالم أن يبث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال ولاسيما فى زماننا الذى اشرأبت فيه الفتن، وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السنن وصارت السنة فيه كالبدع، والبدعة شرع يتبع»).

وقد تبين لك عزيزى القارئ هذه الطائفة من الأحاديث بكل وضوح وجلاء أن المسلمين مأمورون بالحذر الشديد من فتنة المسيح الدجال وبالاستعاذة بالله عز وجل من شره فى صلواتهم وأدعيتهم أسوة بالرسول ﷺ بأمره وهديه الشريف.

ويجب أن نتذكر دائما أن الرسول ﷺ قد أمرنا أن نبادر ونسعى إلى إعمال الفكر المخلص فى فهم وإدراك كل ما يتعلق بالدجال. وقد أمرنا أيضا أن نحدث الناس جميعا بحقائق الدجال وفتنه، الواحد للآخر، والجيل لمن يليه، وذلك تحذيرا لهم من شر فتنة قدر أنها ستكون أشد الفتن على الجنس البشرى منذ خلق آدم إلى قيام الساعة.

قال رسول الله ﷺ: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال» «صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد».

وثمة حديث آخر ملفت للنظر يتعلق بحقيقة الدجال ورد عن الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه وآله وسلم قوله: «ما بعث الله من نبى إلا أنذر أمته، أنذره نوح عليه السلام أمته والنبيون من بعده وإنه يخرج فيكم» البخارى ومسلم.

وقد يوضح هذا الحديث أنه قد كان للدجال وجود فى أزمنة الأنبياء السابقين بشكل من الأشكال وإلا ما لفائدة من أن يحذر الأنبياء السابقون أقوامهم من خطر لن يكون له وجود فى زمانهم؟!

وقد تبدو لنا هذه الحقيقة واضحة مقبولة للعقل والمنطق السليمين بعد إتمامنا دراسة هذا البحث وبعد أن نكون قد أطلعنا على كافة البراهين والأدلة على خروج الدجال وظهوره.

وأرجو أن يكون القارئ العزيز قد اطمئن فعلا إلى ما أتينا به من برهان عملى ومن بيان الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه على أهمية إعمال العقل فى البحث

والتفكر والتحديث بفتنة الدجال ليستقر فى اللاوعى الجمعى للإنسانية جمعاء على مر العصور والأجيال لما تمثله هذه الفتنة من خطورة شديدة وأهمية قصوى.. ولقد نقل (معجم أحاديث الإمام المهدى) ص٨١ - الجزء الثانى - حديثا ملفتا عن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها أرجو أن يتأمله القارئ جيدا إذ يبين الأثر المتعلق بالدجال الذى أراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يغرسه فى أصحابه وأمته حيث يقول راوى الحديث «**قالت: قلت يا رسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال**».

وهنا نتساءل: هل يمكن لأحد بعد هذا البيان الموثق، الإصرار على الزعم بأن تحديث الناس بفتن الدجال وخروجه إنما صرف والهاء للناس، وإشغالهم بما لا يفيد أوبهم!

إذًا ما الأمر الذى كان يهدف إليه الصادق الأمين حين ذكر هذه الأحاديث وأطنب فى ذكر الدجال والتحذير منه؟ ومن هو أحق بالطاعة والتصديق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أم القائلون بما يخالف هديه وتعاليمه؟

وفى كل الأحوال.. ما الخطأ فى أن يزداد المؤمن علما ومعرفة؟ وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟!

قد يطيب لنا قبل أن ننتهى من هذا الفصل الاستهلالى بأن ننقل للناس كافة بشارة ونبوءة عظيمة للصادق الأمين ﷺ حيث يبشرنا قائلا:

(تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم تغزون فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحها الله) صحيح مسلم - عن نافع بن عتبة.

ولا ريب أن فى هذا الحديث الشريف يبشرنا الصادق الأمين رسول الله ورحمته للعالمين بأن الدجال حتما مدحور ومقهور، ولا شك فى أن المؤمنين سيهزمونه بعون

الله تعالى ويقضون على فتنه وأخطاره بما يزودهم الله به من قوة إيمانية معرفية تمكنهم من هزيمته بالأسلوب الأمثل المناسب. وأما الدليل على أن هذه البشارة سوف تتحقق دون ريب فقد تحققت النبوءة الأولى فى هذا الحديث مصداقا لما قال صلى الله عليه واله وسلم وفتح المسلمون جزيرة العرب بعون الله تعالى. ثم تحققت النبوءة الثانية بعون الله تعالى وفتحوا بلاد فارس وتحققت النبوءة الثالثة كذلك بعون الله تعالى وفتح المسلمون بلاد الروم، وهذا يؤكد أنه لابد أن تتحقق نبوءة النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه الأخيرة وهى فتح الدجال، أى قهره والقضاء على فتنه وأخطاره وإنقاذ العالم منه.

وبما أن العالم كله بمثقفيه ومفكريه المنصفين قد علموا بشهادة التاريخ الموثق صدق وتحقق ما تنبأ به الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، فلا مناص له من أن يؤمن بأن النبوءة المتعلقة بالدجال وفتنه ثم هزيمته والقضاء على شروره وأخطاره سوف تتحقق دون ريب. وعند ذلك سيتجدد الإثبات للعالمين فى زماننا هذا - المعاصر - أيضا صدق محمد ﷺ وصدق رسالته للعالمين، والكتاب الذى أنزل عليه من رب العالمين.

الفصل الثانى

ورود ذكر الدجال فى القرآن الكريم

obeikan.com

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾[النساء: ٥١].

ويذهب بعض المفسرين وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور فاروق الدسوقى - الحائز على جائزة الملك فيصل للدراسات الإسلامية- إلى أن الطاغوت اسم للشيطان الجنى والشيطان الإنسى حال توحدهما فى ذات واحدة، أو هو اسم لإبليس الجنى وإبليس الإنسى حال توحدهما. وإبليس أو الشيطان اسم لكل منهما حال تفرقهما.

وأن الجبت هو الدجال المرسل من قبل الطاغوت وبطانته من كفرة بنى إسرائيل وأتباعهم الذين أوتوا نصيبا من الكتاب - وأن هذا الجبت الذى يبدو وكأنه كائنا بشريا هو فى حقيقة أمره كائن نصف بشرى للطاغوت حال توحده ونصفه الآخر إبليس جنى وأنه هو المسيح الدجال باسمه الوصفى الأشمل والأدق عند الإشارة إليه بالجبت..».

ونحن نتفق تماما مع كل من فسروا كلمة الجبت الواردة فى القرآن الكريم [النساء:٥١] بأنها تعنى الدجال وإن كنا نختلف معهم فيما عدا ذلك - خاصة أن كلمتى الجبت والدجال تشتركان معا فى معانٍ كثيرة وردت عنهما فى معاجم اللغة العربية.

ونضيف أيضًا أنه قد ورد ذكر الطاغوت فى القرآن الكريم ثمان مرات منها مرة واحدة فقط اقترن فيها ذكر الجبت مع الطاغوت وفى ذات الوقت مرتبطا بالذين كفروا من بنى إسرائيل الذين أوتوا نصيبا من الكتاب، ومن المعلوم أن اليهود ورد ذكرهم وندائهم فى مواضع من الذكر الحكيم بقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ فما المقصود بقوله سبحانه ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ وليس الذين أوتوا الكتاب؟

أليس فى ذلك دلالة على وجود صلة وثيقة بين هذا النصيب من الكتاب فى الآية

وبين الجبت والطاغوت؟ وأليس من المنطقى هنا أن المقصود بنصيب من الكتاب هو بعض ما أخذوه من التوراة وحرفوه أو أضافوا إليه بالخلط كتبا أخرى منها التلمود ومنها القبالا والجمارا أو المشناة وبروتوكولات حكماء صهيون.. لتحقيق مخططاتهم فى الهيمنة والإفساد والعلو.

وقد يجدر الذكر هنا أيضا أن الطاغوت قد ورد فى العهد القديم باسم (التنين العظيم - الحية القديمة) وورد أيضا باسم (لوياثان الحية الهاربة، الحية المتحوية).

وأول ذكر للتنين نجده فى المزمور الرابع والسبعين من الزبور حيث يناجى داود عليه السلام ربه بقوله: «أنت شققت البحر بقوتك. كسرت رؤوس التنانين على المياه - أنت رضضت رؤوس لوياثان». بما يفيد أن لوياثان جمع لها رؤوس كما أن التنانين جمع تنين أيضا لها رؤوس وهذا يوافق ورود اسم الطاغوت فى القرآن الكريم بصيغة المفرد وصيغة الجمع أيضا. وهذا يدل على أن الطاغوت والتنين اسمان لكائن واحد أو لحالة واحدة هى حالة جمع بين أفراد ومن ثم يذكر بأكثر من اسم حيث لكل حالة اسم.

وغير خاف أنه لا زال البعض يعتقد خطأ أنه لم يرد صراحة لخروج الدجال وظهور فتنه ذكر بالاسم فى القرآن الكريم رغم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يصف فتنه بأنها أشد الفتن على الإطلاق.. حيث نقرأ فى الكتاب الشهير (كبرى اليقينات الكونية) للأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى - أحد أشهر علماء الشام - شرحا هامشيا يبين فيه - برأيه - السبب الكامن وراء عدم ذكر قصة الدجال فى القرآن الكريم فيقول:

(.. قد يتساءل البعض: لماذا لم يك لقصة الدجال وخبره ذكر فى القرآن، وما السر فى أن كل ما جاءنا من أخباره أحاديث عن الرسول فقط.

والجواب: إنه لا يبعد أن تكون الحكمة من ذلك هى أن الدجال أهون على الله من أن يسجل اسمه فى كتابه وكلامه القديم يتلى على ألسنة الناس فى كل زمان

ومكان. وقد درج القرآن فى أسلوبه وإخباراته على عدم ذكر الأسماء - اللهم إلا الرسل والأنبياء - وبعض الطغاة الذين أرسلوا إليهم. أفيخص الدجال وحده بالذكر والتعيين «كبرى اليقينات الكونية» ﷺ ٣٢١-٣٢٢).

ومع تقديرنا لآراء الدكتور البوطى فإننا نختلف معه مؤكدين على أن تفسيره للحكمة الإلهية فى عدم إيراد خبر الدجال فى القرآن الكريم غير مقنع، كما أنه يشير إما إلى عدم إطلاعه على تفسير الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه لآيات القرآن الكريم الكريمة التى أشارت إلى ورود ذكره - كما سنرى - أو أنه بالرغم من إطلاعه على هذا التفسير لم يهتم بلفت النظر إليه.

لذا لا يمكننا أن نوافق الدكتور البوطى وللأسباب التالية:

- أن رسول الله ﷺ قد أكد لنا فى الحديث الصحيح أن الله تعالى قد أورد ذكر الدجال فى القرآن الكريم على أنه إحدى آيات الله التى ينبغى على المؤمنين ألا يكفروا بها حين ظهورها، لأنه سيكون فى التصديق بها وإظهارها تصديق لنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعظمة رسالته.

فإذا كان زعم البعض - وعلى رأسهم الدكتور البوطى - حقًا بأن الله تعالى لم يذكر الدجال فى القرآن الكريم احتقارا لشأنه ولكونه أهون على الله من أن يذكر فيه، فقد يلزم هنا أن نتساءل:

أولاً: ألم يرد فى أحاديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن فتنة الدجال هى أخطر وأشد فتنة على الجنس البشرى منذ خلق آدم إلى قيام الساعة؟

ثانيا: ألم يذكر القرآن الكريم الفتن الأقل شأنا وخطرا من الدجال مثل فتنة الناس واليهود ودابة الأرض وغيرها من الفتن؟

كيف يمكن إذن تفسير ذكر القرآن للفتن الأقل شأنا فى مقابل الزعم أن الدجال

- وهو الفتنة الأخطر شأنا - لم يذكره الله لأنه أهون عليه من أن يذكره فى كتابه وكلامه القديم يتلى على ألسنة الناس؟!

ثم أليست نبوءات الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن الدجال وغيره هى من كلام الله القديم وعلمه بالغيب الذى لا يعلمه إلا هو؟

ثم أليس صحيحًا أننا كمسلمين ننظر إلى كلام رسول الله عليه وآله وسلم ونتعامل معه بالقداسة التى أمرنا المولى عز وجل بها فى قرآنه:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر: ٧].

وقد يكون صحيحًا أن الدجال لم يذكر بالاسم الصريح الشائع عنه فى القرآن الكريم، إلا أن المفسرين الأوائل قد أوردوا فى تفاسيرهم أن الدجال قد ورد ذكره فى آيات معينة فى القرآن الكريم ومنها:

١ - جاء فى تفسير البغوي أن الدجال مذكور فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[غافر: ٥٧]. والمراد بالناس بحسب تفسير البغوى: الدجال.

٢ - وجاء فى تفسير (معالم التنزيل ولباب النقول فى أسباب النزول) للسيوطى، ما يلى:

«وقال قوم: أكبر وأعظم خلقًا من خلق الدجال ولكن أكثر الناس لا يعلمون» - تفسير معالم التنزيل.

٣- كما ورد أيضا المعنى نفسه فى (فتح القدير) الجزء الرابع - بسند صحيح.

٤ - وجاء فى حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يؤكد هذه التفاسير التى تقول بأن المقصود بالناس: الدجال حيث جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال».

وقد جاء فى قواميس اللغة العربية أن كلمة «الخلق» تعنى: الناس.

٥- ونجد فى «فتح الباري - الجزء ١٣» تفسيرا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد فيه أن ذكر الدجال قد ورد فى القرآن الكريم وذلك فى قوله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام: ١٥٨].

وقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه:

«ثلاثة إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها» أخرجه الترمذى.

وبمقارنة الآية الكريمة بالحديث الشريف، نجد أن الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم قد بين أن أول هذه (الآيات) الواردة فى هذه الآية الكريمة هو الدجال، وأن هذه الآيات هى: الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها.

والآن، أفلا يوضح هذا ويؤكد أن الدجال مذكور فى هذه الآية من القرآن الكريم على أنه آية من آيات الله تعالى؟ وهل بعد بيان رسول الله الصادق الأمين فى تفسيره للقرآن بيان أو مجال لترجيح رأى آخر.

٦- ومن البراهين على أن ذكر الدجال قد جاء فى القرآن الكريم الحديث الذى جاء فى صحيح مسلم عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه حيث قال:

«من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال».

مسلم وأحمد وداود والنسائى عن أبى الدرداء.

إن هذا الحديث يبين بكل وضوح أن سورة الكهف تحتوى على ذكر الدجال بحيث يمكن فهم حقيقته من خلال دراستها، لأن القرآن الكريم إنما هو كتاب علم ومعرفة، وليس كتاب سحر وشعوذة يبغد الشر بأساليب السحرة والمشعوذين.

الفصل الثالث

الأحاديث الشريفة المتعلقة بظهور المسيح الدجال

obeikan.com

من جملة ما تنبأ به القرآن الذى يفيض بالنبوءات المتعلقة بمستقبل الإنسان وأيامه ومصيره - أن الإنسان سيتوقف عن استخدام النوق والعشار وأمثالها كوسائط أساسية للنقل، وسيستخدم وسائل أخرى بدلا منها، مما سييسر العلى القدير له اختراعه، قال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم :﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾[التكوير: ٤] .

ومن المعروف أن العشار هى النوق التى كانت تعد من أهم وسائل النقل التى كان الناس يستخدمونها فى زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن يدور فى فكر أحد آنذاك إمكانية الاستغناء عنها بأى حال من الأحوال.

كما تنبأ الصادق الأمين ﷺ بترك استخدام القلاص (النوق) كوسائط للنقل فقال: «لتتركن القلاص فلا يسعى عليها» - صحيح مسلم عن أبى هريرة.

ويوضح لنا المولى عز وجل تبارك وتعالى فى القرآن المجيد أن ترك السعى على هذه الدواب كوسائط للنقل، إنما سيكون بسبب ما مكن وأعان الله سبحانه وتعالى للإنسان من اختراع وسائط بديلة تحل محل هذه الدواب من حيث كونها وسائل للنقل أيضا، فقال عز وجل سبحانه وتعالى: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾[يس:٤٢].

وفى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت نبوءات مذهلة تتعلق بواسطة النقل التى سيستخدمها الدجال عند ظهوره، وقد أطلق على هذه الواسطة اسم «حمار الدجال» وبين أن المسيح الدجال يأتى على هذا الحمار الهائل الذى يأكل النار فى أحشائه، وله فتحة يُخرج منها النار والدخان وينطلق فى سرعات هائلة برًا وبحرًا وجوًا،لونه أقمر شديد البياض، أهلب لا شعر له، وطول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعا، وعرض ما بين أذنيه سبعون ذراعا، وما بين حافره إلى حافره مسيرة يوم وليلة. تطوى له الأرض منهلا منهلا، يسبق الشمس إلى مغيبها. طوله فى الأرض ستون خطوة ولونه أحمر (إن اللون الأحمر لحمار الدجال هنا هو فقط المتعلق بالحمار

البرى الذى طوله ستون خطوة، كما فى الحديث، وأما الحمار الجوى فلونه أقمر كما فى الحديث أيضًا) طعامه الحجارة وله فتحة يُخرج منها نارا ودخانا، لا يدرى قبله من دَبُره يتقدمه جبل من دخان، يخوض البحر لا يغرق ولا يبلغ الماء حقويه، وسرعته كالغيث إذا استدبرته الريح. له سروج وفروج ودوى يملأ ما بين الخافقين، ويدعو الناس للركوب فيه.

هذا هو حمار الدجال فى النبوءات المذهلة لرسول الله وخاتم النبيين محمد ﷺ، وأما عن نبوءاته المتعلقة بالمسيح الدجال نفسه، فقد قال إن الدجال أجعد الشعر أعور العين اليمنى وعينه اليسرى كأنها عنبة طافئة، وفى رواية: كأنها كوكب درى! وله قدرات خارقة بحيث أنه يسيطر على الأرض والناس برا وبحرا وجوا فيأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت وتخرج كنوزها وتتبعه كيعاسيب النحل. وكذلك يسيطر على مياه الأنهار فيأمر الماء أن يرتد فيرتد، ويأمره أن يجرى فيجرى، ويأمره أن يبس فيبس. ويسيطر على البحار والمحيطات فيطوف فوق مائها ويجتازها بسرعات كبيرة ويُخرج من كنوزها وحيتانها ما يشاء.

ويُغنى أقواما - إذا انصاعوا له وقبلوا دعوته - فيجعل أراضيهم جنات خضراء مثمرة ومواشيهم مسمنة باللحم وممتلئة الضروع باللبن. ويحاصر الأقوام التى ترفض دعوته والانصياع له فيحاصرهم ويفقرهم ويجعل أراضيهم ممحلة ومواشيهم هزيلة وأيديهم فارغة.

كما يسيطر على طيور السماء فيتناولها من الجو ويشويها فى الشمس شيا. ويمعن فى خوارقه فيحيى الموتى ويشق الإنسان نصفين ثم يعود فيضمه ويحييه من جديد فيأتى يتهلل وجهه ضاحكا!

ويأتى الدجال بمثل الجنة والنار، ويكون معه جبال من لحم وخبز وأنهار من

تريد تتقدمه النار فى حين يكون من ورائه جنة وجبل أخضر.

أما عن زمان الدجال العجيب، فإنه يختلف اختلافا كبيرا عما هو مألوف حيث يجعل الدجال الزمن يتقارب فتصير السنة كالشهر، والشهر كالأسبوع، والأسبوع كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة كضرمة النار. كما أن المدن فى زمانه تتوسع وتكبر.

وتختلف أحوال الغذاء بالنسبة إلى المؤمنين فيصير التهليل والتسبيح والتكبير بمثابة الغذاء لهم، وأما بعد القضاء على الدجال وانتشار العدل فى الأرض، فتختلف الغرائز والنفوس الحيوانية، إذ يصير الذئب فى الغنم ككلبها، وتمشى الناس بين الوحوش الضارية فلا تؤذيهم، ويدخل الأولاد أيديهم فى أفواه الأفاعى فلا تلدغهم، وتمر الغنم بالحقول فلا تمس السنابل ولا تأكلها ولا تكسر أعواد الزروع.

وهكذا تطرح أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المتعلقة بظهور الدجال الكثير من الغرائب والعجائب التى يصر المشايخ على الأخذ بحرفيتها، باعتبار أنها أحاديث صحيحة مسندة متواترة ثبتت وصحت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولا شك فى أن هذه الأحاديث صحيحة متواترة، ولكن الأخذ بحرفيتها يتنافى ويتناقض مع العقل والعلم والمنطق الإنسانى الصحيح، والأهم من ذلك أنه يتنافى ويتناقض مع المنطق الإيمانى السليم فى القرآن المجيد وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كما سنبرهن إن شاء الله تعالى فيما هو آت من فصول.

ولكن فهم هذه الأحاديث فى ضوء البيان والتعليم القرآنى الكريم سوف يبدى أنها آيات إعجازية مذهلة تشهد على صدق نبوءة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته للعالمين كما نوهنا آنفا.

وبما أن الأحاديث الشريفة التى ذكرت الدجال وفتنه كثيرة جدا، كان لابد من

ذكر بعضها فقط مما يساعد على بيان حقيقة الدجال دون اسهاب أو اطناب.

لذا فإننا سنعرض الأحاديث التالية ثم نعمد إلى مناقشة كل واحد منها فى محله بعد أن يتبين الهدى القرآنى المتعلق بفهم النبوءات التى يظهر الله عليها أنبياءه، وكيف يجب على العلماء والفاهمين أن يؤولوها:

- عن على ﷺ ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«تحت الدجال حمار أقمر طول كل أذن من أذنيه ثلاثيون ذراعا.. تطوى له الأرض منهلا منهلا يتناول السحاب بيمينه.. ويسبق الشمس إلى مغيبها يخوض البحر إلى كعبيه..» «(كنز العمال» وأورده صاحب عقد الدرر فى أخبار المنتظر).

- وأوردالإمام المقدسى فى كتابه (عقد الدرر فى أخبار المنتظر) ﷺ ٢٧٦ - الحديث التالى:

«يخرج - الدجال - على حمار مطموس العين، مكسور الطرف، يخرج منه الحيات، محدودب الظهر، قد صور كل السلاح فى يديه، حتى الرمح والقوس، يخوض البحار إلى كعبيه» ذكره الإمام أبوالحسن محمد بن عبيد الله الكسائى فى قصص الأنبياء.

- وعن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ ، فى قصة الدجال: (.. حمار طوله ستون خطوة.. ..) «عقد الدرر فى أخبار المنتظر» ص٢٧٤.

وجاء فى رواية أخرى أن حمار الدجال طوله ستون ذراعا لا يدرى قبله من دبره يتقدمه جبل من دخان. كما ورد أن طعامه الحجارة وله فتحة يخرج منها النار وله دوى يملأ ما بين الخافقين.

- وعن حذيفة ﷺ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :«يركب - الدجال - حمارًا أبتر بين أذنيه أربعون ذراعًا، يستظل تحت أذنيه سبعون ألفا من اليهود».

- وروى أبونعيم عن حذيفة ﷺ فى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن حمار الدجال:

(يخوض البحر لا يبلغ حقويه، وإحدى يديه أطول من الأخرى، فيبلغ قعره فيخرج من الحيتان ما يشاء).

وفى رواية (فيمد يده الطويلة فيخرج.. ما يشاء).

- وفى حديث رواه المنادى عن الإمام على ﷺ أن الدجال:

(.. يتناول السحاب بيمينه ويسبق الشمس إلى مغيبها، يخوض البحر إلى كعبيه، أمامه جبل من دخان وخلفه جبل أخضر، ينادى بصوت يسمع له ما بين الخافقين: إلى أوليائى، إلى أوليائى، إلى أحبائى، إلى أحبائى، فأنا الذى خلق فسوى، والذى قدر فهدى، وأنا ربكم الأعلى، كذب عدو الله..).

- وورد فى حديث رواه الحاكم وابن عساكر عن ابن عمر أن الدجال:

(يسيح الأرض كلها فى أربعين يوما، وما من بلد إلا وسيطئوها إلا مكة والمدينة، ويتناول الطير من الجو، ويشويه فى الشمس شيًا).

- وجاء فى كتاب (الإشاعة لأشراط الساعة للإمام البرزنجى) من حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الدجال:

(.. يأتى النهر فيأمره أن يسيل فيسيل، ثم يأمره أن يرجع فيرجع، ثم يأمره أن يبس فييبس) رواه نعيم بن حماد ص: ١٢٥، ١٢٩.

- وروى الحاكم وابن عساكر عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال فى الدجال:

(.. يسير معه جبلان، أحدهما فيه أشجار وثمار وماء، والآخر فيه دخان ونار،

فيقول هذه الجنة وهذه النار).

- وروى نعيم وحذيفة عن ابن عمر فى حديث لرسول الله ﷺ عن الدجال أن معه (جبل من ثريد ونهر ماء).

- وعن جابر بن عبدالله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

(يخرج الدجال فى خفة من الدين، وإدبار من العلم.. وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعا فيقول للناس: أنا ربكم وهو أعور وربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه «كافر» مهجاة: ك ا ف ر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب.. ومعه جبال من خبز) رواه أحمد فى مسنده، وصححه الحاكم فى المستدرك ورجاله ثقاة.

- وجاء فى صحيح مسلم عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الدجال يخرج، وإن معه ماءًا ونارًا، فأما الذى يراه الناس ماءً فنار تحرق، وأما الذى يراه الناس نارًا فماء عذب بارد، فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه نارا فإنه ماء عذب بارد».

- وفى رواية ابن أبى شيبة (معجم أحاديث الإمام المهدى جـ٢ ص٦):

(.. معه من كل لسان ومعه صورة الجنة خضراء يجرى فيها الماء، وصورة النار سوداء تدخن).

- كما جاء فى صحيح مسلم عن النواس بن سمعان فى حديث طويل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«غير الدجال أخوفنى عليكم. إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم.. فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف.. قلنا يا رسول الله وما إسراعه فى الأرض؟

قال: كالغيث استدبرته الريح. فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت.. ثم يأتى القوم فيدعوهم فيرودن عليه قوله فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم.. ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كيعاسيب النحل. ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك.

فبينما هو كذلك إذا بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين، واضعا كفيه على أجنحة ملكين.. فلا يحل للكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله. ثم يأتى عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة، فبينما هو كذلك إذا أوحى الله إلى عيسى: إنى أخرجت عبادا لى لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادى إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون..) إلى آخر الحديث.

- وجاء فى كنز العمال - الجزء ١٤، حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الدجال:

«لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره وحتى يترك الأئمة ذكره على المنابر».

- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الدجال:

«إنما إحدثكم هذا لتعقلوه، وتفهموه، وتفقهوه، وتعوه. فاعملوا عليه وحدثوا به من خلفكم، وليحدث الآخر الآخر، إنه أشد الفتن».

نعيم بن حماد (والإشاعة لأشراط الساعة) للإمام البرزنجى ﷺ ١٢٨.

لقد عرضنا فيما تقدم باقة من الأحاديث الشريفة - والتى للأسف يصر بعض أصحاب المنطق الحرفى على الأخذ بحرفيتها، الأمر الذى يبدو مجافاته للمنطق واضحا من الوهلة الأولى.

لذا لا مناص لنا إلا أن نمعن النظر والتأمل وإعمال العقل فى الأساس القرآنى الذى يلزمنا بأن نبنى عليه أسلوب الفهم والأخذ، كى لا نحيل إعجاز نبوءات الرسول الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى أساطير أو خرافات لقلة تفهمنا وتدبرنا.

obeikan.com

الفصل الرابع

الصراع بين التمسك بالحرفية فى النصوص وضرورة التأويل

obeikan.com

لا جدال أن هناك ثمة صراع تاريخى قديم بين التمسك بحرفية النصوص الدينية المقدسة وبين الضرورة التى فى كثير من الأحيان تحتم تأويلها بشكل عقلانى ومنطقى يقبلهما العقل والضمير الإيمانى دون أن يكون ذلك على حساب النص الموثق.

وقد يبدو هذا الصراع حادًا أكثر حول النصوص المتعلقة بالنبوءات المستقبلية التى وردت فى الكتب المقدسة (التوراة والإنجيل والقرآن الكريم) لدى أصحاب الرسالات السماوية (اليهودية والمسيحية والإسلام).

وأما بشأن دراستنا حول (خروج المسيح الدجال) فإن هذا الصراع بين الإصرار على التمسك بحرفية النص وضرورة الأخذ بالتأويل يكاد يبلغ ذروته القصوى، كما أنه يقسم الباحثين والمهتمين - من حيث الفهم والاعتقاد - إلى فريقين متباينين، وقد يصل الخلاف بينهما إلى حد يدفع القائلين بالحرفية يتهمون مخالفيهم بافساد العقيدة والناس، وقد يصل أحيانا إلى حد تكفيرهم.

ولما كان يلزم الوصول إلى حقيقة فى الأمر تكون هى الأصل والمرجع الصحيح الذى يجب أن يؤخذ به، كى ندرك - من خلاله - الحقائق ذات الصلة، لذا فإن من الضرورى لكلا الفريقين، أن يعاودا النظر ويإمعان فى موقفهما الاعتقادى من غيرتعصب أو تصلب، وذلك بغية الوصول إلى الفهم والاعتقاد السليمين الخاليين من شوائب التقليد الأعمى المتوارث دونما دراسة أو تفكر أو تمحيص لتبين الهدى الصحيح للنصوص المقدسة، والتى لا جدال فى أنها لم ترد عبثا، بل جاءت تحمل رسالة للهداية إلى فهم أو ممارسة معينة، وبذلك يستنير الفرد والمجتمع بالهدى الصحيح للنبوءة المقدسة، ويصير أقرب إلى الإيمان الحق الذى يعتقد المؤمنون أن فيه الخير، ولا شك فى أن الإيمان الحق يهدى إلى العمل الحق الذى فيه كل الخير سواء للإنسان الفرد أو للبشرية جمعاء.

ولا جدال فى الأحاديث الشريفة المتعلقة بظهور الدجال ومجىء المسيح الموعود قد بلغت حد التواتر ولا يمكن إنكارها، وقد بين ذلك العلماء المحققون ومن بينهم القاضى العلامة محمد بن على الشوكانى فى (التوضيح فى تواتر ما جاء فى المهدى المنتظر والدجال والمسيح). ولكن المسلم المصدق بها يجد نفسه مضطرا إلى عدم الاقتناع بحرفيتها لأن من يدرس هذه الأحاديث بمجملها - على ضوء الأسس الإيمانية المبينة فى القرآن الكريم والحديث الصحيح - يجد أن التمسك بفهم هذه الأحاديث الشريفة بالحرفية التى جاءت فيها دون أى توفيق أو تأويل منطقى مدروس على أساس الهدى القرآنى الصحيح يضع الفأس على رأس التوحيد ويؤدى إلى:

١- وجود التناقض بين بعض هذه الأحاديث الشريفة وبعضها الآخر.

٢- التناقض بين بعض هذه الأحاديث الشريفة والقرآن الكريم.

٣- التناقض بين هذه الأحاديث والمنطق العلمى والعقلى السليمين.

وبما أنه يستحيل وجود أية تناقضات فى الأحاديث الصحيحة، فلابد إذن من محاولة فهمها على أسس التأويل التى أقرها وبينها القرآن الكريم ولبيان التناقض المترتب على الأخذ بالحرفية نورد الأمثلة التالية:

أولا: طواف الدجال بالبيت الحرام:

اطلعنا على عدد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الدجال لا يمكنه دخول مكة المكرمة والمدينة، لأن الله عز وجل قد حرم عليه دخولها، ولكننا نقرأ فى أحاديث أخرى أن الدجال يدخل مكة ويطوف بالكعبة، فقد جاء فى صحيح مسلم ومسند بن حنبل فى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحديث التالى إذ يقول الدجال عن نفسه:

(.. وإنى أوشك أن يؤذن لى بالخروج فأخرج، فأسير فى الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة، غير مكة وطيبة، هما محرمتان علي كلتاهما).

وكذلك روى بن ماجة عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه الحديث التالى:

(.. لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه - أى الدجال - وظهر عليه إلا مكة والمدينة، فإنه لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلته..).

ويتضح من هذين الحديثين أن الله عز وجل قد حرم عليه دخول مكة والمدينة بالرغم من أنه سيظهر على الأرض كلها، فى حين أننا نقرأ فى الحديث التالى أن الدجال يدخل مكة ويطوف بالكعبة أيضا فقد جاء فى صحيح البخارى فى الحديث الذى رواه عبدالله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال:

«.. وأرانى الليلة عند الكعبة فى المنام، فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من أدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه. رجل الشعر يقطر رأسه ماء، واضعا يديه على منكبى رجلين وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح بن مريم. ثم رأيت رجلا وراءه، جعدا قططا أعور العين اليمنى، كأشبه ما رأيت بابن قطن، واضعا يديه على منكبى رجل يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ قالوا: المسيح الدجال).

صحيح البخارى وصحيح مسلم.

وقد أجمع العلماء على أن رؤى الأنبياء حق لأنها من الله، ونجد فى هذا الحديث أن الدجال يدخل مكة ويطوف بالكعبة، فى حين جاء فى الحديث الآخر أن مكة والمدينة محرمتان على الدجال ولا يستطيع دخولهما، فكيف يمكن فهم هذا التناقض؟! ثم كيف يمكن لعملاق قدر على الأرض جميعها أن يعجز عن دخول مدينتين صغيرتين منها؟ وما القوى التى ستمنعه فى حين أنه قد ملك القوى كلها، كماتبين الروايات

التى تتحدث عنه؟

ومن الأمثلة الإشكالية التى قد تثيرها هذه الأحاديث أيضا - فى نظر بعضهم - كيف يدخل الدجال مكة ويلتقى بالمسيح الموعود فى حين أن الدجال لا يستطيع مواجهته؟ إذ ورد فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى المسيح الموعود ذاب كما يذوب الملح أو كما يذوب الرصاص، أو أغاث كما تغاث الشحمة فى الشمس، أو أنه يموت بنفسه لأنه كافر، فقد ورد فى الحديث أنه لا يحل لكافر يجد ريح نفس المسيح الموعود إلا مات.

وجاء أن القاضى عياض أجاب عن هذا الإشكال فقال:

(إن رؤيا الأنبياء وإن كانت وحيا، إلا منها ما يقبل التعبير).

ويؤكد العلامة على القارئ هذا المذهب فى الفهم (المرقاة - شر المشكاة جـ٥ - باب بين يدى الساعة) **فيقول:**

(قال التوريشى: إن طواف الدجال عند الكعبة مع أنه كافر، مؤول بأنه رؤيا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو أنه من مكاشفاته، إذ كوشف بأن عيسى فى صورته الحسنة التى ينزل عليها يطوف حول الدين لإقامة أموره وإصلاح فساده، وأن الدجال فى صورته الكريهة التى يظهر عليها يدور حول الدين يبغى العوج والفساد).

ثانيا: عين الدجال العوراء

ورد فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الدجال «أعور العين اليمنى» - صحيح البخارى وجاء فى حديث آخر:

«الدجال أعور العين اليسرى» - صحيح مسلم.

وقد اختلفت الروايات حول شكل عينه العمياء، إذ جاء فى الحديث:

«كأن عينه عنبة طافئة» وفى حديث :«إنه مطموس العين» – مشكاة المصابيح.

وجاء فى رواية أبى سعيد عند أحمد أن الدجال:

«جاحظ العين اليمنى كأنها كوكب درى».

فكيف يمكن الأخذ بهذه الأحاديث بحرفيتها مع وضوح التناقض فيها؟ إذن لابد هنا من برهان مقنع.

ثالثا: قدرات الدجال

يتبين من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتصف بقدرات نورد فيما يلى أبرزها:

١ – يأتى معه بجنة ونار وجبال من خبز ولحم وطعام:

قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إن :«الدجال أعور العين اليسرى.. معه جنة ونار» مسلم.. وجاء فى رواية أن الدجال «معه جبل خبز ونهر ماء» صحيح البخارى.

وفى رواية أن «الدجال يخرج وإن معه ماءًا ونارًا، فأما الذى يراه الناس ماءً فنار تحرق، وأما الذى يراه الناس نارًا فماء عذب بارد. فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه نارًا فإنه ماء عذب» صحيح مسلم.

وهل من المنطقى أن يأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس وأمته أن يلقوا بأنفسهم فى نار الدجال، باعتبار أنها هى الجنة، لو كانت هذه النار حقيقية؟

وماذا لو أوقد الدجال نارا حقيقية هائلة ثم أمر المسلمين أن يلقوا بأنفسهم فيها طاعة لرسول الله ﷺ ؟!

وجاء فى حديث «أن معه الطعام والأنهار» صحيح مسلم.

وفى حديث «معه نهران يجريان، أحدهما رأى العين ماء أبيض، والآخر نار تؤجج» صحيح مسلم، كما جاء فى حديث «معه واديان أحدهما جنة والآخر نار» أبو داود.

وفى حديث «يأتى معه بمثلى الجنة والنار» متفق عليه.

وفى حديث ذكره الإمام أبو الحسن بن عبيد الله الكسائى فى قصص الأنبياء، وأورده المقدسى فى «فى عقد الدرر فى أخبار المنتظر ص٢٧٥»:

«ويكون له جنة ونار، فيقول هذه جنة لمن سجد لى».

وروى الحاكم وابن عساكر عن ابن عمر أنه: (يسير مع الدجال جبلان، أحدهما فيه أشجار وثمار وماء، وأحدهما فيه دخان ونار فيقول هذه الجنة وهذه النار) «الإشاعة لأشراط الساعة ﷺ ١٢٤».

وفى رواية نعيم عن أبى مسعود «الإشاعة لأشراط الساعة ﷺ ١٢٦»:

(ومعه جبل من مرق وعراق اللحم حار لا يبرد، ونهر جار، وجبل من جنان وخضرة وجبل من نار ودخان، يقول هذه جنتى وهذه نارى، وهذا طعامى وهذا شرابى».

وهذه الأحاديث الشريفة المتعلقة بحيازة الدجال للجنة والنار وجبال الطعام من الخبز واللحم والمرق والماء والأنهار قد ترتب عليها إثارة دهشة واستغراب العلماء المفكرين الذين يرفضون أن يكون هناك ثمة تناقض بين المنطق الدينى والمنطق العقلى والعلمى.

ولما كان الإصرار على الأخذ بالحرفية يؤدى حتما إلى ظهور مثل هذا التناقض والتعارض المرفوضين، فقد ذكرت الكتب اختلاف العلماء فى هذا الشأن، حيث نقرأ :«اختلف العلماء فى هذه الجنة والنار، هل هى حقيقة أم تخيل».

وقد مال ابن حبّان فى صحيحه إلى أنه تخيل، واستدل بحديث المغيرة بن شعبة فى الصحيحين أنه قال :(كنت أكثر من سأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الدجال،

فقال لى: وما يضيرك منه؟ قلت: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز. قال: هو أهون من ذلك: ومعناه أنه أهون من أن يكون معه ذلك حقيقة، بل يُرى كذلك وليس بحقيقة) «الإشاعة لأشرطة الساعة ص١٢٦».

وجاء فى (المرقاة شرح المشكاة) باب «العلامات بين يدى الساعة» فى معرض شرحه لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (هو أهون على الله من ذلك أى أن الدجال أحقر على الله تعالى من أن يحقق له ذلك وإنما هو تخيل وتمويه للابتلاء فيثبت المؤمن ويزل الكافر).

«القول الصريح فى ظهور المهدى والمسيح» لمؤلفه: نذير أحمد

obeikan.com

ثانيا : ما يتعلق بإحياء الدجال للموتى وإنزاله للمطر

جاء فى صحيح البخارى - باب ذكر الدجال - الحديث الشريف التالى:

«يأتى الدجال.. فيخرج إليه رجل.. فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون فى الأمر، فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه».

وهنا يتبين بكل وضوح - من خلال الروايات التى تذكر قدرة الدجال على إحياء الموتى - أن الإصرار على الأخذ بالمعنى الحرفى لهذه الروايات لا يتناقض وبشكل مؤكد مع القرآن الكريم فحسب، بل مع الأسس الإيمانية والتوحيدية فى حق الله سبحانه وتعالى. فالمؤكد والمعلوم يقينا أنه لا يحيى ولا يميت إلا الله وحده، إذ يؤكد القرآن ذلك فى أكثر من موضع، حيث نقرأ قوله عز وجل بسم الله الرحمن الرحيم ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾[يونس: ٥٦].

فكيف يمكن لكم أن تضيفوا إيمانا جديدا فتزعمون أنه :«هو يحيى ويميت وكذلك الدجال!»؟! ويتحدى القرآن الكريم المشركين أن يثبتوا شيئا من ذلك فيقول: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾[الروم: ٤٠]. فهل تجيبون على سؤال الله هذا بقولكم: نعم الدجال يفعل ذلك أيضا؟!

وحتى لو قلتم ذلك، فإن الله تعالى يختتم الآية منزها نفسه عن هذا الشرك القبيح فيقول:﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾[النحل: ١].

ثم إذا انتبهنا إلى كلمة ﴿مِن﴾فى قوله تعالى: ﴿يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾[الروم: ٤٠] نجدها هنا للتبعيض الذى ينفى إمكانية القدرة على إحياء الأموات بأى شكل كان،

لأن هذا الأمر إنما هو من صفات الله وحده فكيف يمكن أن نشرك به المسيح الأعور الدجال أو غيره كائنا من كان؟!

ونقرأ فى سورة البقرة رد رسول الله إبراهيم ﷺ على النمرود بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾[البقرة: ٢٥٨] .

فهل تضيفون إلى هذه الصفة - التى تخص الله بها نفسه على لسان إبراهيم عليه السلام - صفة أخرى فتقولون «ربى والدجال يُحييان ويُميتان» نعوذ بالله العلى القدير المحيى المميت من ذلك.

ومن الأمور التى خص الله تعالى بها ذاته كذلك إنزال الغيث من السماء فقال تعالى عن نفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾[لقمان: ٣٤] .

فكيف يمكن الإيمان بأن الدجال يقدر أن يأمر السماء فتنزل الغيث فيكون بذلك مساويا لله فى قدرته تلك؟!

وبالرغم من أننا سنبين بجلاء حقيقة نبوءات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى بحث الدجال وقدراته، إلا أننى أرى أن ألفت هنا نظر القائلين بقدرة الدجال على إنزال الغيث من السماء أن أحاديث رسول الله ﷺ لم تذكر قدرة الدجال على إنزال الغيث بل جاء فيها أنه يأمر السماء فتمطر، فقال:

«وإن من فتنته أنه يأمر السماء أن تمطر». صحيح ابن ماجه والمستدرك للحاكم.

كما جاء فى معرض ذكر رسول الله ﷺ للدجال: «فيأمر السماء فتمطر» صحيح مسلم.

وثمة فرق هائل بين أن تمطر السماء أو ينزل منها الغيث، كما سنبين فيما بعد فلا تشركوا بالله أحدا.

ثالثا: الدجال وعلم الغيب

ورد فى بعض الأحاديث المتعلقة بالدجال أنه يتنبأ بأحداث غيبية تتعلق بالمستقبل، كما فى الحديث التالى الذى جعل الآخذين بالحرفية يعتقدون أنه يمكن للدجال أن يتنبأ بالغيب، وأنه مخلوق حى باق منذ وجد فى الأرض! إذ تروى كتب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع يوما صحابته ليحدثهم حديثا - وإليكم الحديث:

(يا أيها الناس.. أتدرون لم جمعتكم؟.. لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم، وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن المسيح الدجال.

حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجزام، فلعب بهم الموج شهرا فى البحر، ثم أرفأوا إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا فى أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقالوا ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قالت :«يا أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه.

قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبرى فأخبرونى أنتم، قالوا: نحن ناس من العرب ركبنا فى سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهرا، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا فى أقربها فدخلنا الجزيرة.. فقال أخبرونى عن نخل بيسان، قلنا عن أى شأنها تستخبر؟ قال أسألكم عن نخلها هل يُثمر؟ قلنا له نعم. قال:

أما إنها بوشك ألا تثمر. قال: أخبرونى عن بحيرة طبريا، قلنا عن أى شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هى كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبرونى عن عين زغر، قالوا: عن أى شأنها تستخبر، قال: هل فى العين ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبرونى عن بنى الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتَلهُ العرب؟ قلنا نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه. وإنى مُخبركم عنى، إنى أنا المسيح الدجال وإنى أوشك أن يؤذن لى بالخروج فأخرج، فأسير فى الأرض فلا أدع أرضا إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان على..) صحيح مسلم.

وقد نرى من هذا الحديث أن الدجال قد تنبأ بأنباء غيبية كثيرة وقد تحقق أكثرها حتى الآن فكيف يصح لدجال كافر ملعون يضل الناس ويدعو إلى تأليه نفسه أن يعلم الغيب بهذا الشكل وكيف استطاع ذلك؟!

إن المسلمين يؤمنون يقينا أنه لا يعلم الغيب أحد إلا الله، وذلك بتأكيد وتعليم القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

وقد أمر الله عز وجل رسوله أن يحذر أمته من أن يظنوا يوما أن أحدا سوى الله يمكن أن يعلم الغيب فقال له ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾[يونس: ٢٠].

كما أمره أن يؤكد بأنه هو نفسه - وهو رسول الله ﷺ - لا يعلم الغيب فقال له:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾[الأنعام: ٥٠].

فكيف يصح بعد هذا البيان القرآنى أن يعتقد المؤمنون بإمكانية أو استطاعة قدرة الأعور الدجال على التنبوء بالغيب حقا مناقضا بذلك البيان القرآنى المبين؟!

ثم كيف يمكن لرجل كافر ملعون أن يظل حيا باقيا منذ نوح والنبيين فى الزمان السابق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يظل حيا باقيا إلى زماننا هذا.

إن الأخذ بحرفية هذا الكلام يضع الفأس على رأس التوحيد، ويحتم الوصول إلى هذه النتائج المتناقضة.

opeikan.com

رابعًا: حمار الدجال الخارق

جاءت فى الأحاديث الشريفة المتعلقة بالدجال أوصاف خارقة لحمار الدجال والتى لا يمكن لأصحاب العقول المنطقية السليمة أن يأخذوا بحرفيتها بأى شكل من الأشكال، إذ أن أول ما يتبادر إلى الذهن هذه الاستفسارات والتساؤلات المحيرة:

- ما هذا الحمار النارى الذى مسافة ما بين حافره إلى حافره مسيرة يوم وليلة؟!

- وما هذا الحمار الذى طول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعا وعرض ما بين أذنيه أربعون ذراعا، ورغم أن طول أذن الحمار الدجال ثلاثون ذراعا فقط، فإن سبعين ألفا من اليهود يستظلون تحتها؟!

- ما هذا الحمار الذى يأكل الحجارة، ويخرج من مؤخرته نارًا، ويطير فى السماء فتطوى له الأرض منهلا منهلا، ويسبق الشمس إلى مغيبها؟!

- وما هذا الحمار الذى معه من كل السلاح تخرج منه الحيات، ويخوض البحر ولا يغرق؟!

- ما هذا الحمار الذى يسير فى الأرض، وطوله ستون خطوة لونه أحمر، يتقدمه جبل من دخان ولا يُدرى قُبله من دُبره، وينادى الناس إليه بدوى يملأ ما بين الخافقين.. وغير ذلك من الأوصاف العجيبة؟!

-ثم وأية حمارة (أتان) يمكن أن تلد مثل هذا الحمار الهائل؟! أم أن أمّه ستكون حمارة عادية ولدت حمارا كونيا هائلا؟! وإن لم يكن سيولد من حمارة عادية، فمن أين سيأتى إذن؟

وقد يجدر الذكر هنا أن بعض المفكرين المسلمين رفضوا أن تنسب هذه الخرافات - على حد قولهم - إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فأنكروا الأحاديث ذاتها واعتبروها موضوعة لم تصدر عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه. وهذا خطأ لا نقرهم ولا نوافقهم عليه، إذ كان ينبغي أن يفهموا ويتأملوا حقيقة النبوءات العظيمة الكامنة فيها من خلال فهم بيان اللغة العربية المتعلق بالرمز والاستعارة والمجاز وغيرها.

وقد يكون من الأهمية بمكان هنا الاطلاع على رأيهم في هذا المقام. فمن هؤلاء العلامة محمد فريد وجدي رئيس تحرير مجلة (نور الإسلام) لسان الأزهر سابقا وصاحب الموسوعة العربية (دائرة معارف القرن العشرين) الذي ذكر أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه المتعلقة بخروج الدجال ثم قال: (.. رأينا في هذا الكلام أن الذي يلقي نظرة على هذه الأحاديث يدرك لأول وهلة أنها من الكلام الملفق الذي يضعه الوضاعون وينسبونه للنبي ﷺ لمقاصد شتى. إما لافساد عقائد الناس، أو لتصغير شأن النبي ﷺ في نظر أهل النقد، فإنّ هذا الكلام لو نسب إلى أحد الناس حط من شأنه، فما بالك لو نسب لخاتم النبيين وإمام المرسلين.

إن في توهين هذا الكلام عدة وجوه لا تقبل المناقشة:

أولها: إنه أشبه بالأساطير الباطلة، فإن رجلا يمشي على رجلين يطوف البلاد يدعو الناس لعبادته، ويكون معه جنة ونار يلقي فيهما من يشاء، كل هذا من الأمور التي لا يسيغها العقل.. والنبي أجل من يأتي بشيء تنقضه بداهة النظر، وإلا فما هي جنته وما هي ناره اللتين تتبعانه حيث سار؟ هل هما مرئيتان أو خياليتان؟ إن كانتا مرئيتين فهل جنته قصور منفية وحدائق غناء كما يفهمه الناس من مدلول هذه اللفظة؟ إن كانت كذلك فكيف تسير معه هذه القصور والحدائق إلى حيث توجه؟ وهل ناره تنور عظيم متأجج بالناس والحجارة على ما يفهمه الناس من معنى هذه

الكلمة؟ وهل مثل هذا الأمر مما يصح أن يسيغه عقل بشرى ناط الله به تمييز الممكن من المستحيل، وجعله الفارق بين الحق والباطل؟

وإن قيل بأن جنته وناره خياليتان، فهل كان يقتل متبعه ليرسل بروحه إلى الجنة أو يعده بها وعدا بعد مماته الذى ورد أنه يلقى بمتتبعه فى جنته فيجدها نارًا، وناره جنة وارفة الظلال، وأنهما يسيران معه حيث سار، وهذا ممتنع عقلا كما نرى.

وثانيها: كيف يعقل أن رجلا أعور مكتوب على جبهته (كافر) يقرؤها الكاتب والأمى على السواء إذ ورد فى الحديث الشريف (يقرأه) وليس (يقرأها) والفرق بينهما مهم جدًا، والحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الدجال :«مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه - أى يتبينه - كل مؤمن كاتب وغير كاتب» البخارى ومسلم- ومعنى يقرؤه يتبينه وليس يقرأ أحرف الكلمة المذكورة. يقوم بين الناس فيدعوهم لعبادته، فتروج له دعوة أن تسمع له كلمة؟ أى إنسان بلغ به الانحطاط العقلى إلى درجة يعتقد فيها بألوهية رجل مشوه الخلقة مكتوب فى وجهه كافر بالأحرف العريضة؟ وأى جيل من أجيال الناس تروج فيهم مثل هذه الدعوة؟

إن العرب كانوا يشكون فى المرسلين ويستكبرون أن يتبعوا رجلا يمشى على رجلين، ويودون لو أرسل الله إليهم ملائكة من السماء، كما نص عليه القرآن، وأما غيرهم من الأمم، وحتى فى أقدم أزمنة التاريخ، فقد كانوا يظهرون الأنفة من اتباع أمثالهم فى البشرية ويودون لو أن الرسول كان من عالم آخر، كما نص عليه القرآن أيضا، فمن هى تلك الأمم التى كتب عليها أن تفتن برجل أعور مكتوب على وجهه كافر فتعتقد فيه الألوهية؟

وثالثها: لماذا لم يذكر القرآن عن هذا المسيح الدجال شيئا مع خطورة أمره وعظم فتنه كما تدل عليه تلك الأحاديث الموضوعة، فهل يُعقل أن القرآن قد ذكر ظهور دابة

الأرض، ولا يذكر ظهور الدجال الذى معه جنة ونار يفتن بهما الناس؟!

ورابعها: أن كون هذه الأحاديث موضوعة يُعرف بالحس من الحديث الطويل الذى نسب إلى نواس بن سمعان ورفعه إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ينبئ بأن الدجال يخرج من خلة بين الشام والعراق ويعمل الأعاجيب، ثم يدركه عيسى.. إلخ.

إن ننظر إلى تركيب هذه القصة نظر منتقد لا يخطر ببالك شك فى أنها موضوعة وقد وضعها واضع لا يفرق بين الممكن والمستحيل، وبين سنن الله فى خلقه وما تولده الخيالات من الأباطيل، ولكن الدليل الحسى على بطلان هذا الحديث هو أن واضعه - لقصر نظره - خيل له أن أسلحة الناس لن تزال القسى والسهام والنشاب والجعاب حتى تقوم الساعة، ولم يُدرك أنه لن يمر على وضع هذه الأحاديث نحو سبعة قرون حتى وجدوا البارود والبندق ولم تمر ستة قرون أخرى حتى لم يكن للقوس والنشاب ذكر، وقامت مدافع الماكسيم وقنابل اليد والشرانبل والأدخنة السامة والغازات الملتهبة والديناميت الذى يتساقط من الطيارات.. إلخ.. لم يدرك ذلك كله قصور الأسلحة فى آخر الزمان ليست على الحال الذى عهده فى زمانه، وليس بعد هذا دليل محسوس على أن هذا الحديث مختلق، فإن الذى يوحى إليه أكبر من أن يقع فى هذا الخطأ العظيم.

ويرى القارئ مما مر من هذه الأحاديث كلها أنها خالية من روح النبوة ولا يؤيدها شىء من القرآن ولا من طريق الإشارة، فلا يصح لها قبل أن يعول على أمثال هذه الموضوعات فإن للأخذ بها حطة فى العقل وذهاب بالدين مذهب الخرافات والأضاليل، والمسلمون أُمروا أن يتحروا الحقيقة فى كل شىء، وأن لا يأخذوا بكل ما يقال وإن هدم العقل والدين » دائرة معارف القرن العشرين -مادة الدجال.

هذا ما جاء به العلامة محمد فريد وجدى فى دائرة معارف القرن العشرين - مادة الدجال - وقد نرى أنه ليس مِن بين المصرين على الأخذ بحرفية هذه الأحاديث من

يأتينا بأكثر مما آتانا به العلامة فريد وجدى وقد نرى أيضا أنه لو أردنا أن نبين جميع الغرائب والعجائب المرفوضة بجميع المقاييس العقلية والعلمية وغيرها والتى تتأتى جميعها عن الإصرار بالأخذ بحرفية هذه الأحاديث الصحيحة، للزمنا الكثير من الكتب، لنوفى هذه الدراسة حقها، ولكننا نكتفى بما عرضناه من أمثلة مبينة واضحة تفى بذات الغرض للذين لا مانع لديهم من أن يعوا ويفهموا.

وبادئ ذى بدء نحن لا نوافق على رأى العلامة محمد فريد وجدى ومن يحذو حذوه من المصرين على الأخذ بحرفية هذه الأحاديث الصحيحة - بل نؤكد على صحة هذه الأحاديث الشريفة المتواترة - رافضين الفهم الحرفى لها - ونؤكد على أنه لابد من فهمها من خلال أسس التأويل التى وضعها القرآن الكريم لتبين لنا روعة البيان فى هذه الأحاديث.

- تأويل النبوءات فى القرآن الكريم.

- الإعجاز فى الأحاديث الشريفة عن ظهور الدجال.

أولا: تأويل النبوءات فى القرآن الكريم

لقد أطلع المولى عز وجل عالم الغيب والشهادة رسوله ﷺ على الأحداث المستقبلية المتعلقة بفتنة الدجال وخروجه من خلال الرؤى الصادقة، كما روى هو ﷺ ذلك، حيث نقرأ ألفاظه التى تشير إلى رؤياه فى أحاديثه تلك إذ يقول :(وأرانى الليلة عند الكعبة فى المنام.. ثم رأيت وراءه رجلا جعدا فقلت من هذا قالوا المسيح الدجال) صحيح البخارى، كتاب الرؤيا.

وتصنيف هذا الحديث فى صحيح البخارى فى كتاب الرؤيا، يلفت النظر إلى أن إخبار الله تعالى للرسول الكريم عن الدجال وخروجه قد كان عن طريق الرؤى

الصادقة التى يطلع الله من خلالها رسله على ما يشاء من الغيب.

كما يتبين من قصة تميم الدارى فى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنها لا يمكن أن تكون إلا رؤيا، وذلك ما سنكشف النقاب عن حقيقة مفهوم الدجال.

وهناك المزيد من الأحاديث الصحيحة التى تؤكد على أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد علم خروج الدجال وفتنه من خلال الرؤى الصادقة، ولكن يكفينا هذا الحديث الصحيح - تجنبا للإطالة - للبرهان على أن الرسول الكريم قد حدثنا عن المسيح الدجال وفتنه من خلال ما أوحى الله إليه فى الروع الصادقة لينذر أمته ويحذرهم من شرور أشد الفتن.

وليس من المستغرب عند اطلاعنا على سير الأنبياء أن نوقن بأن الله تعالى يطلعهم على البعض من أنباء من الغيب عن طريق الرؤى الصادقة، إذ أننا نقرأ فى القرآن الكريم ما أخبرنا به الله عز وجل عن يوسف النبى عليه السلام والذى أراد العلى القدير أن يبشره بالنبوة وتمام النعمة، وأن أباه وأمه وأخوته سيتبعون هديه ويصدقون بدعوته، وأن شأنه سيعلو فى البلاد والعباد، فيوضح لنا الله تعالى فى القرآن المجيد أنه عندما أراد أن يخبر يوسف بتلك الأنباء الغيبية العظيمة، أطلعه على ذلك من خلال الرؤيا، ولكن ماذا كانت تلك الرؤيا وكيف تحققت؟ ولنقرأ معا فى سورة يوسف فى القرآن الكريم إخبار يوسف لأبيه يعقوب عليهما السلام عن رؤياه حيث يقول تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝٤﴾[يوسف: ٤].

ولكون أبوه يعقوب نبيا يُوحى إليه أيضا برؤى صادقة فقد أدرك خطورة وأهمية النبوءة المستقبلية فى رؤياه فنصحه بكتمانها:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾[يوسف: ٥].

ومن خلال علم يعقوب كنبى بتفسير الرؤى الصادقة فقد قال تعالى على لسان يعقوب مبشرًا يوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦﴾ [يوسف: ٦].

وهكذا يعلمنا القرآن الكريم أن إحدى طرق الوحى للأنبياء هى الرؤيا الصادقة التى لابد من التصديق بها. ولكن السؤال الأكثر أهمية والذى يعنينا هنا فى هذا البحث هو:

هل يلزمنا التعليم القرآني بالأخذ بحرفية هذه الرؤي، أم أنه ينبغي علينا الأخذ بالتأويل الصحيح لها إذا كانت هذه الحرفية تتناقض مع الأسس العقلية والعلمية للمنطق البشري السليم؟

القرآن الكريم مؤسس علم التأويل:

حين نتأمل فى القرآن الكريم من خلال تلاوتنا للآيات الكريمة فى سورة يوسف نجد أنه، بكل بساطة ووضوح يرفض الحرفية رفضًا باتًا، ويؤيد منطق التأويل الصحيح الذى يوضحه العالمون بتأويل الرؤى الصادقة، التى أطلق عليها القرآن الكريم مصطلح :«تأويل الأحاديث».

وبذلك يكون القرآن المجيد ذاته هو المؤسس العظيم لعلم تأويل الرؤى الصادقة، باعتبارها مصدرًا من مصادر الوحى للأنبياء، والتى لابد ن تُدرك على ضوء الأساس القرآنى فى تأويل الرؤى، فيستطيع الناس عندئذ أن يهتدوا بهداياتها الحقة التى لا

خرافة فيها ولا منافاة للعقل والمنطق السليم.

وللمزيد من الايضاح، فلندرس رؤيا يوسف عليه السلام وكذلك تأويلها على ضوء ما ورد فى القرآن الكريم: يقول المولى تبارك وتعالى عن تلك الرؤيا:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝٤﴾[يوسف: ٤].

ولا ريب أن هذه الرؤيا تشير إلى مشهد واضح أراد الله عز وجل من خلاله أن يطلع نبيه يوسف على بشارة مستقبلية تتعلق به وبأهله وبدعوته.

وإذا افترضنا أن الحرفية هى الأساس الذى يجب أن نبنى عليه فهمنا لهذه الرؤيا، فهذا يعنى أن كل كلمة أو صورة فيها ينبغى أن تتحقق بشكل حرفى مادى، وهذا يعنى أنا ما سيحدث فى المستقبل هو: أن يرى يوسف النبى عليه السلام نفسه قد كبر وكبر فى الحجم حتى صار عملاقا كونيا يفوق فى حجمه المجموعة الشمسية بكاملها، ثم يجد أنه يستطيع - بالإضافة إلى ذلك - أن يقف فى فضاء الكون بشكل ما حتى تتمكن الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا من السجود عند قدميه، وبذلك تكون الرؤيا الصادقة اتى أوحى الله بها إليه قد تحققت كاملة وبحرفيتها.

فهل يوجد عاقل واحد فى الكون يستطيع أن يوافق على إمكانية هذا التحقق الحرفى لرؤيا يوسف النبى عليه السلام لمجرد الاعتقاد بأن رؤى الأنبياء وحى صادق من الله؟!

ثم لماذا لا نأخذ بتعليم القرآن الكريم ذاته فى هذا الشأن، ولماذا لا نسأل أنفسنا: هل أراد الله بتعليمه لنا فى هذه السورة أن نصر - مع المصرين - على حتمية الأخذ بحرفية رؤى الأنبياء مهما خالف ذلك العقل والمنطق السليم؟ والجواب هو: حتما لا فلقد بين لنا ربنا عز وجل تأويل الرؤيا فى كتابه المجيد ذاته،

وأكد أنه كان لابد من فهم تلك الرؤيا الصادقة بتأويلها السليم، وإلا فإنها تصبح مجرد خرافة باطلة لا بشارة فيها ولا هدى ولا تعليم، ولنرى معا التأويل القرآنى لتلك الرؤيا:

يقول الله جل وعلا: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾[يوسف: ١٠٠].

وقبل أن نشرع فى بيان التفسير القرآنى لهذه الرؤيا فقد نلفت النظر إلى رموز مادية معينة استخدمها القرآن الكريم ليشير بها إلى حقائق روحية هامة. ومن هذه الرموز:

الشمس:

ورد فى القرآن الكريم أن الله عز وجل قد جعل فى سمائنا المادية شمسا وهاجة تضيء لنا نهارنا بشكل مباشر، وتنير لنا ليلنا بانعكاس أنوارها من خلال القمر - قال جل وعلا عن الشمس فى سورة (النبأ): بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ ﴾ [النبأ:١٣]. فالشمس هى سراج الدنيا. ووصف الله تعالى رسوله الكريم فى القرآن الكريم ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[الأحزاب: ٤٦]. فنجد أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كما وصفه مرسله عز وجل هو الشمس فى سماء الدين، وأن علماء الدين من أصحابه هم النجوم الذين يدورون فى فلكه، لذا فقد وصفهم رسول الله ذاته فى حديثه الشريف بالنجوم، حيث قال:

«إن مثل العلماء فى الأرض، كمثل النجوم فى السماء».

«عن أنس فى مسند الإمام أحمد».

وقد ورد عن رسول الله قوله «أصحابى كالنجوم» - البيهقى.

وهكذا يكون النبى شمسا فى سماء الدين، وأصحابه الذين يدورون فى فلكه نجوما.

وبهذه المفاتيح القرآنية يمكننا فهم بيان النبوءة فى رؤيا يوسف النبى عليه السلام. ولكى نفهمها بسهولة أكثر، فإنه ينبغى لنا أن نلاحظ وجود عناصر معينة فى الرؤيا يجب أن يقابلها عناصر فى التأويل. والعناصر فى رؤيا يوسف هى:

١- الشمس ٢- القمر ٣- أحد عشر كوكبًا ٤- سجود الكواكب ليوسف عليه السلام.

والآن ما هى العناصر المقابلة فى التأويل بحسب ما جاء فى القرآن الكريم؟

يقول الله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[يوسف:١٠٠].

فما هى العناصر المقابلة للرؤيا هنا؟

١- مقابل الشمس نجد النبى يعقوب عليه السلام.

٢- ومقابل القمر نجد أم يوسف التى هى زوج النبى يعقوب عليه السلام وهى التى تدور فى فلك زوجها كالقمر وتعكس أنواره.

٣- ومقابل الأحد عشر كوكبا نجد أخوة يوسف الأحد عشر الذين يدورون فى فلك والديهم.

وأما السجود فيعنى الطاعة والاتباع كما فى قوله ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٦] وهذا يعنى الخضوع التام لهذه المخلوقات وغيرها لأمر الله عز وجل.

ولا جدال فى أننا لا نرى سجودا للشمس أو القمر أو النجوم عند قدمى يوسف، فقد كانت الشمس فى الرؤيا ترمز إلى يعقوب النبى والد يوسف باعتباره نور الله فى قومه، والقمر يرمز إلى أمه التى تستمد نور إيمانها من زوجها النبى، وأما النجوم الأحد عشر فقد كانت ترمز فى الرؤيا إلى أخوة يوسف الأحد عشر الذين

كانوا يدورون فى فلك أبيهم النبى، وذلك مصداقا لحديث عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه - كما قدمنا - أورده الإمام أحمد فى مسنده يقول «مثل العلماء فى الأرض، كمثل النجوم فى السماء».

لقد كانت الرؤيا إذن تشير إلى وصول يوسف إلى مرتبة النبوة بفضل العلى القدير الذى اجتباه وأتم نعمته عليه، كما تشير إلى قبول والدى يوسف وأخوته لدعوته واتباعهم إياه مصدقين مؤمنين بعد أن جعله الله نبيا يدعو إلى عبادته وحده.

وفى الآيات التالية نقرأ توبة أخوة يوسف وقولهم لأبيهم:

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾[يوسف: ٩٧-١٠٠].

إن هذا الشرح القرآني الواضح يبين بكل تأكيد أن الله جل وعلا قد استخدم الرمز في الرؤيا لاطلاع نبيه علي غيب المستقبل، كما يبين الخطأ الكبير في الإصرار علي أخذ جميع النصوص الدينية بالحرفية فتجعل منها خرافة تدعو إلي النفور من الدين بدلا من قبوله والتصديق به.

وكذلك أيضا أفهمنا البيان القرآنى رؤيا عزيز مصر حول البقرات والسنابل، فقد كانت تشير إلى نبوءة تتعلق بسنوات الخصب والجفاف التى كانت تنتظر مصر، ولم يكن التأويل القرآنى حرفيا كما هو معلوم. ولقد جاء فى رؤياه أنه قال:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾[يوسف: ٤٣].

ويوضح التأويل القرآنى أن هذه الرؤيا الصادقة لم يكن لها علاقة بالبقر من

قريب أو بعيد.

وهكذا فإنه غير خاف أن الذين يصرون على الأخذ بحرفية النص مهما كان مؤداها، وأن عدم الأخذ بها هو تحريف للدين وخروج عنه واعتداء عليه وعلى المؤمنين به، فإنهم بإصرارهم هذا يحيلون الكثير من الكنوز المعرفية فى النصوص الدينية إلى خرافات باطلة يرفضها العقل البشرى السليم بجميع صورها وأشكالها، ويجمدون الفكر والحضارة العربية والإسلامية فى أسمنت الأفهام الذاتية المغلقة على ما سلف ويكبحون التفكر والإبداع البانى للحضارة الفكرية والتقدم العلمى والحضارى الواعى الذى يجب أن يبنى على يقين أن القرآن هو كلام الله، والكون هو فعله، ولا يمكن مطلقا، أن نجد أى تناقض بين كلام الله وفعله.

ثانيا : الإعجاز في نبوءات الرسول ﷺ

عن خروج المسيح الدجال

لقد تبين لنا - فيما تقدم - إشارة القرآن الكريم إلى خروج الدجال باعتباره آية من آيات الله عز وجل حيث قال سبحانه وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقد فسر الرسول صلوات الله وسلامه عليه معنى: ﴿بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ فى هذه الآية الكريمة بأن منها الدجال فقال:

«ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض» صحيح مسلم.

فإذا كان من آيات الله تعالى ظهور وخروج الدجال، فلابد أن يكون فيه دلالات إيمانية إعجازية تؤكد صدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه وتؤيده، لذا فإنه ينبغى علينا أن نمعن الفكر فى هذا البحث ونعمل على أن نفهمه ونعقله ونعيه بالشكل المنطقى السليم ففى ذلك ما يؤيد صدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه ونصرة دعوته ودينه، خاصة أنه هو ذاته قد أمرنا قائلا:

«.. إنما أحدثكم هذا لتعقلوه وتفهموه، وتفقهوه، وتعوه. فاعملوا عليه، وحدثوا به من خلفكم، وليحدث الآخر الآخر، فإنه أشد الفتن».

أخرجه نعيم بن حماد فى كتاب الفتن / كنز العمال.

ولسوف يعجب القارئ العزيز خاصة غير المسلم حين يدرك عظمة الحقائق الإعجازية في أحاديث الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه عن خروج الدجال، وسيجد فيها ما يثبت صدقه في رسالته ودعوته وأنه خاتم النبيين الذي جاء بدين الله الإسلام رحمة من الله إلي العالمين، مصداقا لقول الحق سبحانه وتعالي:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء: ١٠٧].

وتبيانا لهذه الحقائق الإعجازية العظيمة، لابد من تناول الأحاديث الشريفة عن ظهور الدجال بالشرح والتفصيل على ضوء التعليم القرآني العظيم المتعلق بإدراك وفهم النبوءات المستقبلية التى يطلع العلى القدير عليها أنبياءه لينذروا الناس أو يبشروهم بأحداث مستقبلية هامة، فيتأكد بها صدقهم وصدق من يأتى بعدهم.

وقبل كل شيء فإنه ينبغي علينا أن نبدأ بتحقيق الألفاظ الرئيسية الهامة في هذا البحث فقد جاء في معاجم اللغة العربية المعاني التالية لكلمة ((الدجال)) في:

* لسان العرب

«الدجال»: المموه الكذاب وبه سمى الدجال.

الدجال يخرج فى آخر هذه الأمة، سمى بذلك لأنه يدجل الحق بالباطل، وقيل بل لأنه يغطى الأرض بكثرة جموعه. وقيل لأنه يغطى كل الناس بكفره.. ويُقال دجلت السيف أى موهته وطليته بماء الذهب.

و«الدجال»: الذهب، ويقال لماء الذهب أيضا دجال وبه شبه الدجال لأنه يظهر خلاف ما يضمر.

و«الدجال»: المموه فعال من أبنية المبالغة – أى يكثر منه الكذب والتلبيس وقيل سمى بذلك لأنه يستر الحق بكذبه.

والدجال والدجالة: الرفقة العظيمة تغطي الأرض بكثرة أهلها، وقيل هي: الرفقة تحمل المتاع للتجارة.

قال أبو العباس: «سمى الدجال دجالا لضربه فى الأرض وقطعه أكثر نواحيها، وقال: سمى دجالا لتمويهه وتلبيسه وتزيينه الباطل.

ودجل البعير: طلاه بالقطران. ودجل الشيء غطاه.

وجاء في قاموس: * (المنجد)

الدجال: أيضا الكذاب الذى سيظهر فى آخر الزمان.

الدجال – الدجالة: الرفقة العظيمة تغطى الأرض.

وجاء في: * (أقرب الموارد)

الدجال:.. الرفقة العظيمة.

وغير خاف أننا نجد من هذه المعانى اللغوية أن كلمة الدجال تنطبق على العدد العظيم من الناس كما تنطبق على الفرد، وسنجد فيما يلى من بحثنا هذا أحاديث للرسول صلوات الله وسلامه عليه تشير إلى هذا المعنى وتؤيده فى مواضع كثيرة. كما تؤيد ذلك أيضا تفاسير القرآن الكريم التى تشير إلى أن المقصود بكلمة الناس فى بعض الآيات القرآنية هو الدجال كما جاء فى تفسير (معالم التنزيل) و(لباب العقول فى أسباب النزول) لجلال الدين السيوطى وذلك فى قوله عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾[غافر: ٥٧].

ومما يؤكد بوضوح أن كلمة (الدجال) فى هذه النبوءات إنما تشير إلى أمة من الناس، هو حديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول فيه:

(من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال) – صحيح

مسلم. لذا فإنه من المنطقى يمكن معرفة الدجال وحقيقته من خلال قراءة هذه الآيات العشر من أول سورة الكهف - فإلى ماذا تشير هذه الآيات؟ يقول تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾[الكهف: ١-٤].

وتبين هذه الآيات الكريمة أن بأس الله الشديد (أشد الفتن) يتعلق بالذين قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ وأنهم بحسب إشارة حديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هم (الدجال) المبين فى أوائل سورة الكهف. فمن هم الذين قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾؟

يقول الله تعالى عز وجل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٣٠]. ومن هذا الحديث الشريف ومن هذه الآية الكريمة يتبين لنا أن لفظة (الدجال) الواردة فى الأحاديث الشريفة إنما تشير أساسا إلى أمة اليهود والنصارى حيث زعم كلاهما أن الله اتخذ ولد.

رغم العلاقة الوثيقة بين اليهود والدجال وكونهم يتبعونه ويدخلون فى كيانه وأساسه.. إلا أنه لابد من الانتباه إلى أن ظهور وانتشار الدجال كأمة أو أمم طاغية تسيطر على البلاد والعباد بقواها المادية المختلفة ودجلها بأشكاله وأنواعه الكثيرة لا يكون من اليهود ذاتهم، لأن اليهود بحسب القرآن الكريم قد ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، فهم بأعدادهم القليلة المحصورة (١٦ مليون نسمة) وحياتهم التى يسودها التوجس والقلق والريبة لن يكون لهم عز دنيوى، بل إن ذلك سيتمثل بالأمم المسيحية الطاغية بقواها المادية الهائلة، وبدجلها الكهنوتى والسياسى الذى لا علاقة له بالمسيحية الحقة..).

وهذا الزعم الباطل بأن الله اتخذ ولدا وصفه العلى القدير سبحانه وتعالى وصفا

لم يصف به زعما وافتراءً أشد خطورة منه فقال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾[مريم: ٨٨-٩١].

فأى فتنة أعظم من أن تنفطر السماوات منها، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدًّا؟!

وبالإضافة إلى هذا البيان الواضح نجد أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد أشار بوضوح إلى أن المقصود بالدجال فى أحاديثه أمة أو أمم وليس فردا واحدا إذ يقول: «لتقاتلن المشركين حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن أنتم شرقيه وهم غربيه» أورده الطبرانى فى المعجم الكبير وخرجه السيوطى.

ونلاحظ أن استعمال الرسول الكريم للضمير (هم) دلالة على الدجال ليشير بكل وضوح إلى أنه يتحدث عن أمة (جمع غفير) من الناس، وغير خاف أنه من الواضح أن المقصود هنا هم اليهود أيضا المتواجدين الآن فعلا فى الجانب الغربى من نهر الأردن. وبذلك يكون قد تحقق فى تواجدهم الحالى غربى نهر الأردن نبأ رسول الله العظيم الذى أخبر به أمته قبل ما يزيد على أربعة عشر قرنا.

كما نجد كذلك أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يستخدم لفظة (الدجال) للإشارة بذلك إلى أمة وبلاد، وذلك فى حديثه الشريف الذى يذكر فيه عددا من النبوءات تحققت جميعها وبقى آخرها، فيقول:

«تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم تغزون فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحها الله) صحيح مسلم.

وقد يلاحظ هنا أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد استخدم فعل «يفتحها» عن الدجال - وفى رواية أخرى «يفتحه» - وفى هذا إشارة واضحة إلى أن المقصود بالدجال هنا هو بلاد وأمم.

وهكذا تؤكد لنا قواميس اللغة والحديث والقرآن الكريم أن لفظة الدجال تُشير إلى الأمة أو الأمم العظيمة العدد التى تغطى الأرض بكثرة أهلها وتحمل المتاع للتجارة، وأنها تلبس الحق بالباطل، وتزينه للناس، وتنشر دجلها بينهم، وتغطى به الأرض، كما أنها تنشر باطلا ودجلا فى الأرض عقائد فاسدة أخطرها أن الله تعالى قد (اتخذ ولدا)، سبحانه وتعالى عما يصفون وعما يشركون.

وعلى ضوء ذلك فقد يكون من الأهمية بمكان الآن العودة إلى أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه لنفهم فتن الدجال وشروره وأخطاره، فنعقلها ونفهمها ونفقهها ونعيها، لكى يمكننا العمل عليها والتحديث بها لمن خلفنا تحذيرا من أشد الفتن، كما أمرنا ووصانا أن نفعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ولقد علمنا من خلال تعليم القرآن الكريم - كما علمنا من سورة يوسف - أنه لابد من تأويل رؤى الأنبياء المتعلقة بالمستقبل - لذا فإنه قد ينبغى علينا أن نبحث فى علم التأويل لنفهم رؤى رسول الله ﷺ المتعلقة بخروج الدجال.

ولقد جاء فى أحاديث رسول الله ﷺ أنه رأى الدجال فى منامه شابا قططا (جعد الشعر) أعور العين اليمنى، فماذا يعنى ذلك فى علم التعبير؟

جاء فى كتاب تأويل الرؤى الشهير (تعطير الأنام):

«الشاب فى المنام عدو الرجل. والشاب مكر وخديعة، أو عدو مكروه.

وأما عن شعر الرأس فقد جاء:

«شعر الرأس: هو فى المنام مال وطول عمر، وإن رأى أن شعره جعد فإنه يُشَّرف ويُعزَّ وينال سيادة وعزًا».

* عين الدجال العوراء

وأما عن عمى العين اليمنى، فإن الجانب الأيمن فى علم التأويل يرمز إلى الدين، فى حين يرمز الجانب الأيسر إلى الدنيا، قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠)﴾ [المدثر: ٣٩-٤٠].

وقال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤)﴾ [الواقعة: ٤١-٤٤].

وأما عن أصحاب الشمال فيقول تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩)﴾ [الانشقاق: ٧-٩].

ويقول تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧)﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٧].

وهكذا يتبين لنا أن لليمين والشمال دلالتين قرآنيتين واضحتين تساعداننا فى فهم معنى أن عين الدجال اليمنى عوراء أو أنه أعمى العين اليمنى.

وجاء فى علم التعبير عن عين الإنسان ما يلى:

«عين الإنسان فى المنام دين الرجل وبصيرته التى يبصر بها الهدى والضلال»، وجاء أيضا: «عين الآدمى دينه ومن رأى أنه يداوى عينه فإنه يصلح دينه».

وأما عن العور فقد جاء ما يلى: «عور» من رأى فى المنام ضلالة فى الدين. والعمى

أيضا غنى مادى. فمن رأى أنه أعمى استغنى»- كتاب: تعطير الأنام.

مما تقدم نري أن أوصاف الدجال في الأحاديث الشريفة تُشير إلي عدد ذي ثراء كبير وعز دنيوي وعينه اليسري (التى ترمز إلى الدنيا) قوية وكبيرة كأنها كوكب دري (ذكره الإمام أبوالحسن الكسائى فى قصص الأنبياء والمقدسى فى كتابه «عقد الدرر فى أخبار المنتظر كما أورده البرزنجى فى الإشاعة» **وهذا يشير إلي تقدمه المادي الهائل، في حين أنه أعمي من الناحية الروحية الدينية، إذ أن عينه عوراء طافئة كما جاء في الأحاديث.**

وأما الحديث الذى يذكر أن عينه اليسرى أيضا عوراء فهذا يشير أيضا إلى أن وسائل كسبه الدنيوى أيضا تكون حراما ومخالفة لدين الله وشرعه. وهكذا فبدلا من أن ينشأ تناقض بسبب الحرفية. فإن التأويل يضيف لنا معارف أعمق وأوسع.

فالدجال إذن عدو، وهو أمة دجالة ضالة غفيرة العدد تلبس الحق بالباطل متسترة بشعارات أخلاقية زائفة وتزعم أن الله قد اتخذ ولدا، وهي أمة كثيرة المال ذات تقدم مادي دنيوي هائل تفتن به الناس في حين أنها عمياء البصيرة من الناحية الدينية الروحية وهي علي ضلال مبين.

وفيما يتعلق بالتقدم المادى الهائل لهذه الأمة الدجالة، فقد جاء فى الأحاديث الشريفة بيان إعجاز شامل يحدوبعقلاء العالم وعلمائه ومفكريه ومثقفيه إلى الإيمان بصدق دعوة الأمين الصادق محمد صلوات الله وسلامه عليه ودينه الإسلام - وبيان ذلك بشيء من السرد التفصيلى:

***١- حمار الدجال:**

جاء فى حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الناس سيتركون ركوب الجمال فلا يسعون عليها فى حين كانت فى زمنه صلوات الله وسلامه عليه من أهم

وسائط النقل التى لا يمكن الاستغناء عنها إذ قال :(ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها) صحيح مسلم.

ويؤيد القرآن الكريم هذه النبوءة حيث يقول الله جل وعلا:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾﴾[التكوير: ٤].

ويقول عز وجل: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[النحل: ٨].

وهذا يعنى أنه سيأتى يوم يتوقف فيه الإنسان عن استخدام الجمال ذات الأشهر العشر من العمر، وذلك بسبب وسائط النقل الحديثة المتطورة، التى يكون العلى القدير الخالق العظيم البديع قد مكنه من اختراعها واستخدامها فى المستقبل، بحيث يستغنى بها عن ركوب الحيوانات كوسائط للنقل.

لذا عندما حدثنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن (حمار الدجال) العجيب فقد كان ينقل إلينا عبر أمته، نبوءته المتعلقة باستخدام وسائل النقل السريعة التى تخترعها وتستخدمها أمة الدجال ذات التقدم المادى الهائل، ولكنه عبر عن ذلك حينذاك باستخدامه لفظ (الحمار) ولكن أى حمار!

لقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن هذا (الحمار) يسير بالطاقة النارية وذلك فى حديثه:

(يوشك أن يخرج من جس سيل نار تسير سيرا بمطية الإبل) كنز العمال- الجزء السابع.

وتتضح لنا أوصاف وملامح هذا الحمار العجيب أكثر حين نقرأ عن شكله وحجمه وسرعته وأوصافه كما مر معنا، فهو حمار ضخم هائل، يوصف فى رواية صاحب (عقد الدرر فى أخبار المنتظر) أن طوله ستون خطوة لونه أحمر طعامه الحجارة، لا يُدرى قبله من دبره يتقدمه جبل من دخان، له صوت يدوى ما بين

الخافقين، يدعو الناس إليه!.

وغير خاف أن هذه الأوصاف تنطبق - بعد قليل من التأمل - على القطار البخارى الذى كان من أول وسائل النقل الحديثة لأمة الدجال فى العصر الحديث، ومن المعروف أنه كان يُطلق عليه اسم (الحصان النارى) وأول من أطلق عليه ذلك الاسم هم: «الهنود الحمر» لأنه وسيلة نقل تعمل بالطاقة النارية التى تولد البخار وتستخدم قوته.

هذا وقد تنبأت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ظهور شكل آخر لوسيلة نقل الدجال (حمار الدجال) فتصفه بأن ما بين حافره إلى حافره مسيرة يوم وليلة (كنز العمال)، وكذلك طول كل خطوة من خطاه ثلاثة أيام ويضع خطوة عند منتهى طرفه (الإشاعة ص٤)، كما وُصفت دابة الدجال هذه بأنها «ذات السروج والفروج» (بحار الأنوار - ج٣)، كما أنه أقمر أبيض لا شعر له، طول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعا (كنز العمال - عن الإمام على عليه السلام)، وما بين أذنيه أربعون ذراعا (البخارى، ومشكاة المصابيح)، كما جاء فى الدرر المنثور أن أذن حمار الدجال تُظل سبعون ألفا من اليهود، وهو ذو سرعة خارقة بحيث أن الأرض تطوى له منهلا منهلا ويسبق الشمس إلى مغيبها.

ونحن إذا تفكرنا بهذه الأمر، وأمعنا النظر فى هذه الأوصاف وجدنا أنها تنطبق على الطائرة الحديثة التى هى من اخترع أمة الدجال، وهى من أهم وسائل نقلها، فهى كما جاء فى الحديث قمراء بيضاء لا شعر لها، وأجنحتها التى هى بمثابة أذنيها تقارب فى بعضها تماما الأطوال المذكورة، وهى سريعة جدا تطوى لها الأرض منهلا منهلا، وتسبق الشمس إلى مغيبها فعلا، فعلى سبيل المثال إذا كنت فى باريس الساعة الخامسة - بعد الظهر - عند الغروب، وانطلقت بالطائرة إلى لندن فى الوقت ذاته، فإن سفرك سيستغرق أقل من ساعة وتصل إلى لندن قبل الغروب وقبيل الساعة

الخامسة، وذلك بسبب سرعة الطائرة وفرق التوقيت. وإذا انطلقت طبعا هذه الطائرة «بحافرها» الأول من مدينة ما فذات الطائرة لا تضع حافرها الآخر إلى عند وصولها إلى مدينة أو بلد آخر بعد مسيرة طويلة.

وهكذا تنطبق النبوءة العظيمة لرسول الله ﷺ فى أحاديثه الشريفة على ما نراه ونعايشه الآن - بعد مضى ما يجاوز أربعة عشر قرنا من قولها والتحدث بها جيلا بعد جيل.

وهناك أيضا وصف عجيب آخر لحمار الدجال فى أحاديثه صلوات الله وسلامه عليه يصف فيه الطائرة المقاتلة فيقول عن الدجال فى حديث أورده المقدسى صاحب «عقد الدرر فى أخبار المنتظر» من حديث ذكره الإمام أبو الحسن بن عبيدالله الكسائى:

(يخرج على حمار مطموس العين، مكسور الطرف، يخرج منه الحيات، محدودب الظهر قد صور كل السلاح فى يديه، حتى الرمح والقوس).

وقد يلاحظ هنا أنه ليس هناك أطراف، كما أن ظهره محدوب وليس مقعرا - خلافا لشكل الحمار المعروف، ثم نلاحظ أيضا ن بقية أوصافه أيضا تنطبق على الطائرة المقاتلة التى تنطلق منها القذائف والصواريخ بأشكال مختلفة، فهى مطموسة العين، محدودبة الظهر، لا أطراف لها ومعها من كل السلاح وتخرج منها القذائف.

وقد جاء فى رواية أن اليهود يستظلون بحماية أذنى هذا الحمار الهائل، وهذا كناية عن احتمائهم بالمظلة الجوية لطائراتهم المقاتلة، إذ ورد فى الحديث أن سبعين ألفا من اليهود يحتمون بظل أذنى هذا الحمار، فكيف يجب أن يكون حجم أذنيه حتى يحتمى بظلهما سبعون ألفا من اليهود!

(يركب - الدجال - حمارًا أبتر بين أذنيه أربعون ذراعا يستظل تحت أذنيه سبعون ألفا من اليهود) سنن الدانى وقد يجدد الذكر هنا أن العدد سبعين أو مضاعفاته فى

اللغة العربية يمكن أن يستخدم للكثرة لا للحصر، قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[التوبة: ٨٠].

وبالطبع هذا لا يعنى أن الرسول لو استغفر ٧١ مرة فإن الله سيغفر لهؤلاء المنافقين المذكورين فى الآية.

كما قد يلاحظ أيضا أن كلمة «أبتر» فى هذا الحديث تلقى الضوء على أن هذا الحمار ليس من النوع الذى يتناسل ويكون له ذرية من الحمير كما هى الحال فى الحمر العادية، وذلك لأن هذا الحمار ما هو إلا شكل من أشكال الآلة البتراء التى بالقطع ليس لها نسل كوسائط النقل الأخرى من الحيوانات.

كما أن استظلال اليهود بحمار الدجال يمكن أن يعنى هنا أيضا المراقبة الرادارية التى تلتقط الأصوات والصور ويحتمى فى ظلها اليهود وغيرهم (وخاصة اليهود الذين يعولون أساسا على هذا التفوق العلمى لحمايتهم) وإلا فكيف يكون حجم هذه الأذن التى يستظل بها سبعون ألفا من اليهود؟!

ثم إذا أخذنا حجم أذن الحمار بعين الاعتبار، فكم وكيف يكون حجم هذا الحمار الخارق؟! وكذلك نجد فى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا الحمار الهائل أنه يخوض البحر ولكنه لا يغرق، إذ لا يبلغ الماء أكثر من حقوية: (يخوض البحر لا يبلغ حقويه) - كنز العمال.

ولا جدال أن هذا الوصف ينطبق تماما على السفينة التى تخوض البحر ولا يُغمر منها سوى جزء صغير جدا من سطحها السفلى الملامس للماء. ومن الملفت للنظر أنه ورد أيضا أن هذا الحمار المائى يعمل بطاقة ويطلق جبل من دخان يتقدمه وهذا ينطبق على السفن البخارية فى بداية عهدها.

هذا وقد جاء فى الجامع الصغير عن أبى هريرة ﷺ حديث لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه عن واسطة نقل عجيبة أطلق عليها اسم (بعير) يحشر الناس عليه أو يجتمعون فيه:

(يحشر الناس على ثلاثة طرائق: راغبين وراهبين، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير.. وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار، تُقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتُصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا).

ولا شك فى أن هذا البعير هو كناية عن السيارات والباصات وحافلات النقل.. إلخ التى كان يركبها فى البدء عدد قليل من الناس ثم تطورت فى الشكل والحجم فصار يركبها عدد أكثر من الناس حتى وصلت إلى شكلها الحالى، بحيث يمكن أن تحمل عشرة أو أكثر، ينحشر الناس فيها فى عربة واحدة.

ومما تقدم فإننا نجد من خلال نبوءات الصادق الأمين عن حمار الدخان بعد التفكر والتأمل فيها بأنها نبوءات إعجازية مدهشة تصف بدقة جميع وسائط النقل الحديثة المعاصرة كالقطارات والطائرات المدنية والمقاتلة والسفن والبواخر والسيارات.. إلخ وبشكل رائع شامل، وليس بمقدور أحد أن يأتى به إلا إذا كان العلى القدير سبحانه وتعالى قد أطلعه عليه وأظهره على غيبه فجعله يرى هذه الصور والأشكال والأحداث المستقبلية منذ ما يربو على أربعة عشر قرنا.

*- تقارب الزمان:

لقد أنبأنا رسول الله صلى الله وسلامه عليه وآله وسلم أيضا فى أحاديثه الشريفة عن تقارب الزمان بسبب تمكن أمة الدجال من اختراع وسائط النقل الهائلة السرعة والتى استطاع الإنسان المعاصر بواسطتها اختصار الزمن، فيقطع على سبيل المثال

فى شهر ما كان يقطعه فى سنة، ويقطع فى أسبوع ما كان يقطعه فى شهر، ويقطع فى ساعة ما كان يقطعه فى يوم، ثم يقطع فى لمح البصر ما كان يقطعه فى ساعة، وهذا من خلال سرعة الصواريخ الفضائية التى وصلت إلى هذه السرعات المذهلة والتى تفوق أضعاف سرعة الصوت، إذ ورد عن الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه وآله وسلم فى حديث أنس عند أحمد والترمذى:

(.. فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار).

وورد كذلك عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه فى حديث رواه نعيم والحاكم عن ابن مسعود أن الدجال يحبس الشمس فيقول:

أنا رب العالمين وهذه الشمس تجرى بإذنى، أفتريدوننى أن أحبسها لكم، فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر، والجمعة كالسنة، ويقول أتريدون أن أسيرها، فيجعل اليوم كالساعة). ومما هو متعارف عليه أن أطوال اليوم والشهر والسنة تعتمد على حركة النجوم والكواكب فى الأفلاك السماوية، فهى تعتمد فى الأساس على سرعة دوران الأرض حول نفسها وسرعتها حول الشمس وهكذا. وقد أكد لنا القرآن الكريم أن دوران وسرعات هذه الأجسام السماوية فى أفلاكها مرتبطة بقوانين محكمة تجعلها تسير فى مسارات وحبك مرسومة محسوبة ومقدرة بتقدير العزيز العليم، وأن الله قد سخر هذه القوانين لصالح حياة الإنسان وبقائه فلا يمكن أن تختل أو تتغير، لأنه لو حدث ذلك فإنه سيؤدى حتما إلى فساد نظام السماوات والأرض وبالتالى دمار الحياة والجنس البشرى بأكمله، لمخالفته لقوانين الطبيعة التى بثها الله وأحكمها فى الكون بيديه، يقول تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾

[إبراهيم: ٣٣] مما يتضح جليا لنا أن الله عز وجل قد ضبط الشمس والقمر والليل والنهار بقوانين محكمة لا يمكن لها أن تخالفها لأى سبب من الأسباب - إلا بإذن الله تعالى - لأن الخروج على هذه القوانين سوف يؤدى إلى فساد نظام الكون وبالتالى هلاك الجنس البشرى برمته، ولذلك فقد جعل الله لكل كوكب فلكا ومسارا خاصا لا يخرج عنه إذ قال لنا العلى القدير جل وعلا:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[يس: ٤٠].

وهذا ما يؤكد لنا يقينا أن الوقت والزمان اللذان سخرهما الله للإنسان - من خلال ضبط انصياع حركة الأرض والشمس والقمر لقوانين خاصة قدرها عليها - لا يمكن أن يخالفا القوانين التى ضبطهما بها الله تعالى عز وجل، وبالتالى فإنه لا يمكن أن يطول الزمان أو يقصر بشكل مخالف لهذه القوانين الإلهية المحكمة.

قال المولى عز وجل سبحانه وتعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٦]ومعنى هذا أنهما ينصاعان بالطاعة التامة للتقدير الذى قدره الله عليهما ولا يستطيعا أن يخالفاه أبدا ولا يستطيع أى مخلوق أيا كانت قدراته أن يجعلهما يخالفانه.

كما يبين لنا العلى القدير والخالق العظيم البديع أيضا أن جميع الكواكب والنجوم إنما تسير فى السماء فى الطرق المحسوبة المحبوكة التى رسمها وحبكها الله جل وعلا لها، فوصف السماء بأنها ذات الحبك أى ذات الطرق المحددة للأفلاك التى تسبح فيها فقال تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ ﴾[الذاريات: ٧].

وهذا ما أقره واعترف به وأيده العلم الذى ثبت له أن لكل نجم وكوكب مسارا خاصا لا يمكن أن يخرج عنه. فكيف يتسنى إذن للدجال الأعور الكافر أن يُفسد نظام الكون ومدارات الشمس والقمر والأرض والأفلاك حتى يغير الوقت والزمان

فيجعله يقصر أو يطول، أو يوقفه بحبس الشمس؟!

ومنطقيا إنَّ هذا لا يمكن الأخذ به أو يكون إلا بمعنى تمكنه من اختراع وسائط متطورة للنقل تجعله يجتاز المسافات بسرعات هائلة. فما كان يقطع فى شهر يمكنه بوسائط نقله أن يقطعه فى أسبوع ثم مع زيادة السرعات يمكن اختصار الزمن لمسافات أكبر وأكبر وبذلك يصير الأسبوع كاليوم واليوم كالساعة، والساعة كضرمة النار، تماما كما أخبرنا الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة فى أحاديثه ونبوءاته المعجزة عن الدجال وأيامه.

ومن الملاحظ والمعروف لنا جميعا - خاصة مستخدمى الطائرات فى أسفارهم - أنه يمكن للإنسان المعاصر أن يظل فى وقت الشمس والنهار من خلال السفر من منطقة ذات توقيت سابق فى الشرق، إلى منطقة أخرى ذات توقيت لاحق فى الغرب، فبدلا من أن تغرب الشمس فى موعدها المحدد تتأخر لساعة أو ساعات على من يطير فى طائرة باتجاه معاكس، وكذلك يكسب فارقا فى التوقيت وكأن الشمس قد حُبست والنهار قد طال.

ومن ضمن ما يعنى تمكن الإنسان المعاصر من حبس الشمس هو تمكنه من حبس الطاقة الشمسية لاستخدامها لأغراض حرارية وتوليد الكهرباء وغير ذلك مما هو شائع ومعروف حتى بات مصطلح (حبس الشمس) اليوم من الأمور الشائعة المألوفة التى يستخدمها الكتاب فى مؤلفاتهم ويحدثون الناس بها وقد يكون خير مثال على ذلك ما جاء فى كتاب «حفارو القبور» لمؤلفه العلامة الشهير «روجيه جارودى» إذ يتحدث فيه عن أهمية الطاقة الشمسية لأفريقيا فيقول:

«إن أفريقيا السوداء لا تحتاج إلى البنطال الضيق أو إلى مزيل الرائحة بل إنها بحاجة إلى الكثير من الآلات التى تحبس الشمس لتتحكم بمصدر الطاقة الأهم إليها وهى الشمس».

ولا ريب ولا جدال أن ما تقدم ببرهان ساطع يثبت بأن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قد نبأ العالم بتوصل الإنسان إلى إمكانية حبس الشمس، قبل تمكنه من ذلك.

*** - استخدام الطاقة الشمسية:**

جاء فى حديث لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله وسلم يصف الدجال فقال:

(.. ويتناول الطير من الجو ويشويه فى الشمس شيا).

الاشاعة لأشراط الساعة ص١٢٧، ورواه الحاكم وابن عساكر عن ابن عمرو.

ومن الملاحظ بشيء من إعمال العقل والتأمل، أننا نجد فى هذا الحديث نبوءة عن تمكن الإنسان من اختراع بنادق الصيد المتطورة التى يستطيع مستخدمها من اصطياد الطير أثناء طيرانه فى السماء.

كما نجد أيضا فى هذا الحديث نبوءة عن تمكن الإنسان استخدام الطاقة الشمسية لأغراض حرارية، مما هو معروف اليوم إذ قد تم اختراع مواقد حرارية تحول الطاقة الشمسية إلى طاقة حرارية تمكن مستخدمها من طهى الطعام والإنارة والتدفئة.. بل إن بعض المنشآت الصناعية والطبية وغيرها تعتمد على الطاقة الشمسية فى تشغيل آلاتها وأجهزتها كما هو معلوم.

وإذا كان حبس الشمس كما قدمنا قد ترتب عليه استخدام الطاقة الشمسية فى المجالات المختلفة كما نوهنا آنفا فإن حبسها يعنى أيضا ترتيبا على ما تقدم القدرة على مواجهتها بشكل مستمر ودون غياب عنها ويتجلى ذلك - كما رددته وسائل الإعلام الغربية مؤخرا - من خلال السفر بسفن فضائية تطير بسرعة خاصة بحيث تبقى فى مواجهة مستمرة مع الشمس التى لا تغيب عن مثل هذه المركبة السريعة ومن فيها، فتبدو كأنها قد حبست ولم تغرب أبدا.

وسبحان من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦﴾ [الذاريات: ١-٦].

بعض معانى ذرى فى «معجم المعانى الجامع - معجم عربى - عربى».

ذرت: طيرت وأذهبت - فلان يذرى فلانا: أى يرفع من أمره - غر الذرى: بيض.

ذرت الريح شيئًا: أى حملته وأطارته وجرت به - أو أقلعت به. استذريت بالشجرة: استظللت وصرت فى دفئها.

الذاريات ذروا: كل ما تحمله الريح ويطير فى الفضاء بسرعة كبيرة (وينطبق ذلك أيضا فى عصرنا الحالى على الطائرات بأنواعها والصواريخ وسفن الفضاء.. إلخ).

الجاريات يسرا: السفن بأنواعها التى تستطيع الجرى فى الماء بسرعة كبيرة وسهولة (وينطبق ذلك منطقيا أيضا على البواخر والسفن الحربية والغواصات وحاملات الطائرات.. إلخ).

المقسمات أمرا: الملائكة التى تقسم أمر الله فى خلقه ينزلها الله تعالى بأمره على من يشاء.

* - سيطرة الدجال في السماء والأرض:

جاء فى بعض أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه - كما مر معنا من قبل - أن السماء والأرض تأتمران بأمر الدجال فقال:

(يأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت) صحيح مسلم عن النواس بن سمعان.

وهذا لا يعنى على الإطلاق - كما قد يتصور البعض - أن الدجال يصرخ آمرا السماء بأن تنزل المطر، فتنصاع لأمره وتنزل المطر فى المكان الذى يحدده، أو أن يأمر

الأرض قائلا: أنبتى فتخرج زروعها وثمارها، منصاعة لكلمته الآمرة من غير حرث ولا زرع!.

إن هذا الفهم المنحرف المعوج يستحيل أن يكون مقبولا بأى شكل من الأشكال، فالكون كله لا يأمر إلا بكلمة العلى القدير الواحد الأحد لا شريك له سبحانه وتعالى عما يصفون وعما يشركون - ولا قدرة للدجال أو لغيره أيا كان على أن يأمر السماء فتطيعه، ولا أن يأمر الأرض فتنصاع طائعة له كما يريد. بل لا ريب ودون أدنى شك فإن هذه النبوءة إنما تشير إلى تقدم أمة أو أمم - الدجال فى ميادين علوم البيئة والزراعة والرى واستثمار الأراضى والمياه.. فيتمكنون على سبيل المثال من نقل المياه عبر الأنابيب المرتفعة المثبتة التى ترش المياه من علو، أو رش المياه والمبيدات بواسطة الطائرات الزراعية (وقد يجدر الذكر هنا ما جاء فى معجم اللغة العربية بأن كل ما علاك فهو سماك. وهذا يعنى أن أى ارتفاع فوق الأرض مهما كان علوه يمكن أن يسمى السماء، وبهذا يكون الرى بالأنابيب الضخمة المرتفعة فوق الحقول بمثابة إنزال المطر من السماء. ومن المعلوم حاليا أن هناك ثمة بعض الوسائل لإنزال من الغيم المعقود فى السماء بواسطة قذائف خاصة وغير ذلك كثير مما ذكر عن هذه الأنباء العلمية الحديثة).

وهكذا فإن رى الأراضى بواسطة الأنابيب المرفوعة الضخمة الدوارة التى تروى الحقول المزروعة بواسطة الأنابيب المرفوعة الضخمة الدوراة التى تروى الحقول المزروعة عن طريق الرش يمكن أن يعد بمثابة إنزال المطر من السماء، ولا شك فى أن أسلوب الرى هذا لا يمكن أن يتم إلا بأمر ورغبة مسئولى الزراعة أو المزارعين الذين يستخدمون هذه الطريقة وقتما يشاءون.

وبهذا تتأكد نبوءة رسول الله ﷺ التى تتعلق بتقدم الدجال وتابعيه فى مجال

رى الأراضى واستخراج الزروع والثمار بوسائل حديثة متطورة باضطراد، تحيل الصحارى والأراضى البور إلى حدائق وجنات وارفة الظلال، وهو ما قد تحقق ونراه الآن فعلا وواقعا.

وإضافة إلى ما تقدم فيما يتعلق بالنبوءة حول أن الدجال يأمر السماء أن تمطر فتمطر، فقد ترى معنا عزيزى القارئ أن ألفاظ هذا الحديث لا تتحدث عن قدرة إنزال الدجال للماء حصرا من السماء، بل هى نبوءة خطيرة تتحدث عن إنزاله أيضا الهلاك على الناس من السماء. وقد يفسر ذلك بجلاء أن نبوءة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تتحدث عن «المطر» وليس «الغيث» - والمطر فى اللغة العربية ومصطلح القرآن الكريم غير الغيث، وإذا ما انتبهنا إلى القرآن الكريم، فإننا نجد أن كلمة «المطر» لم ترد إلا فى حالة السوء والأذى، فى حين أن كلمة الغيث فقط هى التى ترد وتستعمل للخير. ومما يؤكد ذلك أن كلمة «مطر» وردت فى القرآن الكريم أربع مرات، وقد استخدمت جميعها فى مجال السوء والأذى - يقول المولى جل وعلا سبحانه وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾[النساء: ١٠٢].

ومن الواضح هنا وجود الأذى بسبب المطر واقتران كلمتى السوء والأذى به.

وفى سورة الفرقان: الآية ٤١ يقول العلى القدير عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾[الفرقان: ٤٠].

ويلاحظ هنا أيضا اقتران كلمة السوء بكلمة المطر.

وفى سورة الشعراء: الآية ١٧٤ يقول العزيز الحكيم جل وعلا سبحانه وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾[الشعراء: ١٧٣].

وهكذا نرى أن كلمتى السوء والأذى أحداهما أو كلاهما يقترنا بكلمة المطر.

وأما الغيث فهو الذى يأتى بالأمل والرحمة من بعد اليأس - يقول العليم الحكيم

سبحانه وتعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾[الشورى: ٢٨].

وفى سورة لقمان: الآية ٣٥ يبين لنا خالق الكون العظيم الكبير المتعال القوى المتين سبحانه وتعالى أنه جل وعلا الواحد الأحد قد خص ذاته بالقدرة على إنزاله الغيث، فلا يجوز أن نشرك بذلك أحدا آخر كالدجال أوغيره إذ يقول عن نفسه عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾[لقمان: ٣٤].

وبذا يمكننا الآن أن نفهم ونعى فتنة الدجال فيما يتعلق بأنه يأمر السماء فتمطر وأنها ليست فقط بمعنى أنه ينزل الماء من أعلى لرى النبات.. إلخ بل أيضا بمعنى أدق وأشمل بمعنى أنه ينزل السوء والأذى من السماء.. كالقنابل والقذائف والصواريخ والمتفجرات بمختلف أنواعها. ومن المعروف والشائع أن التعبير المألوف الذى يقول فيه الواصفون للغارات الحربية بأن الطائرات قد أمطرت مدينة ما أو موقع ما.. بوابل من القنابل والصواريخ، أو فى قولهم: «أمطر العدو بوابل من الرصاص..».

وقد تشترك معى عزيزى القارئ فى أن هذا هو المعنى الأعم والأشمل لنبوءة الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه.

وقد يكون مثيلا وشبيها أيضا لنبوءة التقدم فى مجالات الرى والزراعة واستصلاح الأراضى نبوءة رسول الله ﷺ عن الدجال والأنهار إذ تحدث عن الدجال فى حديث رواه نعيم بن حماد فى حديث أورده الإمام البرزنجى فى كتابه «الإشاعة لأشراط الساعة ﷺ ١٢٥ - كما أورده المقدسى فى كتابه «عقد الدرر فى أخبار المنتظر» فقال:

(يأتى النهر فيأمره أن يسيل فيسيل، ثم يأمره أن يرجع فيرجع، ثم يأمره أن ييبس فييبس) وبالطبع هذا لا يعنى على الإطلاق أن الدجال يقف على ضفة نهر فيصرخ

آمرا الماء قائلا: أيها الماء ارجع، فيرجع إلى مصادره ومنابعه، ثم إذا قال له :«أيها الماء إجرِ، فينصاع له الماء طائعا لأمره فيجرى، ثم إذا قال له: إيبس، يتوقف عن الجريان ويجمد يابسا فى أرضه! ولا جدال فى أن هذا القول لا يمكن أن يقبله عقل عاقل أو حتى أى إنسان يعمل عقله ولو قليلا، بل إنما هى نبوءة عظيمة من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، قد نبأنا فيها عن تمكن الإنسان فى المستقبل من السيطرة على مياه الأنهار بالسدود الضخمة وبواباتها الكبيرة بحيث يستطيع المهندس المسئول أن يستخدم أزرارا يتمكن بها من غلق بوابات السد فى مسير ماء النهر فيرتد بأمره، ثم إذا أراد فتح هذه البوابات فيجرى الماء وينساب بأمره.

وفيما يتعلق بتيبس الماء فما هى إلا النبوءة المتعلقة بتمكن الإنسان من تجميد الماء وتحويله إلى جليد فى المنازل والمعامل والمستشفيات.. حسب الرغبة والحاجة إليها.

وهكذا نرى أكثر وأكثر أن هذه النبوءات تتعلق بتقدم الإنسان المضطرد فى عصرنا الحالى فى مجالات الرى والسدود واستصلاح الأراضى واستخراج الكنوز وثرواتها النباتية بأحدث الأساليب العلمية التى تخترعها وتصنعها الحضارة المعاصرة بوسائلها واختراعاتها العلمية الحديثة.

* النار التي تصاحب الناس:

فى حديث للرسول صلوات الله وسلامه عليه - عن أبى هريرة فى الجامع الصغير - نبوءة عن نار عجيبة تصحب الناس وجمعهم فى كل مكان ينامون ويبيتون معها مطمئنين، إذ قال: (يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار تُقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتُصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا).

وتتضح جليا - عند التأمل فى هذا الحديث وتفسيره المعاصر بشىء من إعمال

العقل - النبوءة عن المناسبات التى يجتمع فيها الناس ويحشرون، فهم يجتمعون فى وسائل النقل (البعير) التى يمكن أن تحمل أعدادا من الناس أحادا أو عشرات أو أكثر: كالقطارات أو الباصات أو السيارات.. إلخ.

كما أن الناس يجتمعون ويحشرون فى الريف والحضر التى تكون فيها الكهرباء متوفرة لضرورتها فى الإنارة والتدفئة والتبريد وضخ الماء وتشغيل الأجهزة والمصانع والمستشفيات وغير ذلك من الاستعمالات المتعددة الكثيرة. والكهرباء كطاقة يمكن اعتبارها شكلا من أشكال النار. وإن كانت النار التى يمكن للناس أن يقيموا معها ويصبحوا معها ويمسوا معها - كما نبأنا به الرسول صلوات الله وسلامه عليه تماما. إذ من غير المقبول أن نقبل فكرة أن ينام الناس أو يبيتون مع النار بالمعنى الحرفى.. بل هى نبوءة عظيمة عن استخدام الكهرباء التى تجمع الناس فى البيوت والقرى والمدن والتى هى شكل من أشكال النار.

* إخراج كنوز الأرض:

فى حديث للرسول صلوات الله وسلامه عليه يصف الدجال رواه مسلم والترمذى - جاء فيه:

(.. ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجى كنوزك، فتتبعه كيعاسيب النحل) مسلم والترمذى.

ليس من المنطقى أو لمن يعمل عقله أن يكون المقصود من هذا الحديث أن الدجال يقف فى الخرائب ويصرخ آمرا إياها: أخرجى كنوزك، فترتعد فرائص الأرض، وتدفع بكنوزها من الذهب والفضة والجواهر وغيرها بين يدى الدجال، ثم تطير هذه الكنوز وراءه فى خط مستقيم إلى حيث يشاء.

ولكن من المنطقى لمن يعمل عقله ويمعن النظر بشىء من التأمل والتدبر يجد أن

المقصود هنا فى هذا الحيث هو وصول أمة الدجال إلى اختراع وسائل حديثة متطورة تمكنهم من استخراج كنوز الأرض مثل: النفط والذهب والماس والفضة والحديد والنحاس.. وغيرها كثير من كنوز الأرض، بحيث لا يعجزون عن استخراج أية كنوز فى عمق الأرض وفى أى بلاد تكون.

وبشىء من إمعان النظر والتأمل يلاحظ أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد بين لنا بجلاء فى هذه النبوءة العظيمة أن هذه الكنوز لن تبقى فى أراضيها التى تستخرج منها، وإنما تشحن خارج بلادها وأراضيها وراء أمم الدجال الذين يسرقونها إما بالهيمنة الاستعمارية أو بالتجارة، فيحملونها فى سفنهم وطائراتهم فتتبعهم إلى بلادهم لتضاعف من قوتهم وثرواتهم على حساب البلاد الخربة الفقيرة التى ينهبون ثرواتها وكنوزها بالقوة.

وأما ما يتعلق بتشبيه الصادق الأمين بنقل هذه الثروات (والكنوز) بالشحن (برا وبحرا وجوا) بيعاسيب النحل فهذا إعجاز آخر إذ أن من المعروف علميا أن يعاسيب النحل تطير بأساليب ثابتة محددة كما تطير الطائرات وتجرى السفن فى البحار وعربات وسيارات الشحن فى الطرق البرية.

* التقدم الطبي:

وفى حديث شريف للرسول صلوات الله وسلامه عليه رواه مسلم والترمذى وأحمد فى مسنده جاء: (ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه، فيقبل ويتهلل وجهه يضحك).

ومع إيماننا الكامل بأن أحدا لا يقدر أن يحيى الميت أو يبعثه من الموت ولا الله المحيى المميت خالق الكون العظيم الواحد الأحد، إلا أننا إذا ما أولنا هذا الحديث بشىء من إعمال المنطق والعقل وإمعان النظر، نجد أنه يبتغى الإشارة إلى تقدم

الإنسان فى مجالات العلوم الطبية والعمليات الجراحية تقدما هائلا ومضطردا، حيث يمكن فى عصرنا هذا - وبعد ١٤٠٠ سنة من هذه النبوءة - للأطباء المتخصصين فى العالم - خاصة فى العالم الغربى ومن تعلم عندهم - أن يجروا عمليات جراحية خطيرة على مستوى استبدال قلب الإنسان المعطوب بقلب صناعى أو قلب إنسان آخر كما هو معلوم، حيث يقوم الأطباء بعد تخدير المريض الذى يصير كالميت تماما لا يحس ولا يشعر بشق صدر المريض نصفين يكون الطبيب قد شق صدر المريض شقين رمية الغرض المقصود، ثم يستبدل القلب القديم السقيم بآخر سليم، ثم يعود فيغلق صدره المشقوق ويلم جرحه، ثم ينعشه من التخدير وكأنما يبعثه من الموت، فيصحو المريض متهللا، ويضحك فرحا بنجاح العملية ونجاته من الموت تماما على الصورة التى بينها الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى نبوءته العظيمة.

*** بقاء الدجال حيا في الأرض وعلمه للغيب:**

فى قصة تميم الدارى المروية فى حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى صحيح مسلم أن الدجال قد تنبأ بالغيب نبوءات صادقة، وأنه كان حيا مقيدا فى دير منذ الزمن السابق لرسول الله ﷺ .

ولا شك فى أن هذا - عدا مخالفته للعقل والمنطق السليم - يخالف أيضا القرآن وأسس الإيمان والتوحيد فى الإسلام كما هو معلوم للعارفين بالإسلام إذا ما أخذت القصة بحرفيتها. ونظرا لما قد يترتب على المفهوم الخاطئ لهذا الحديث من معتقدات خاطئة، لذا فإننا نجد أنه من الأهمية بمكان البرهان على أنه لم يكن إلا رؤيا تتعلق بنبوءة غيبية قد ينبغى فهمها بالتأويل المبنى على التعليم القرآنى الحكيم، إذ أن الأخذ بحرفيتها يضل من يصر على ذلك فيصبح أسير عقائد خاطئة ليست من الإسلام فى شىء.

لذا فإنه يجدر بنا التعرض لبيان ذلك بشيء من السرد التفصيلى كالتالى:

- جمع الرسول صلوات الله وسلامه عليه ذات يوم وهو متهلل الوجه فقال :«يا أيها الناس.. أتدرون لم جمعتكم؟.. لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم، وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن المسيح الدجال.

حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرًا في البحر، ثم أرفأوا إلي جزيرة في البحر حتي مغرب الشمس، فجلسوا فى أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون قبله من دبره من كثرة الشعر. فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قالت: يا أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير (يلاحظ هنا علاقة الدير بالمسيح الدجال فى هذا الحديث فهو مكان قيده ومنطلقه) فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سراعا حتى دخلنا (الدير) فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا، مجموعة يداه إلي عنقه، ما بين ركبتيه إلي كعبيه بالحديد. قلنا ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم علي خبري فأخبروني أنتم، قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهرا، ثم أرفأنا إلي جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة.. فقال أخبروني عن نخل بيسان، قلنا عن أي شأنها تستخبر؟ قال أسألكم عن نخلها هل يُثمر؟ قلنا له نعم. قال: أما إنها توشك ألا تُثمر. قال: أخبروني عن بحيرة طبريا. قلنا عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زغر، قالوا: عن أي شأنها تستخبر، قال: هل في العين ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من

مائها. قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر علي من يليه من العرب وأطاعوه، قال: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه. وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح الدجال وإني أوشك أن يؤذن لي بالخروج فأخرج، فأسير في الأرض فلا أدع أرضا إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان علي) صحيح مسلم.

وقد يبدو بكل وضوح لمن يمعن النظر والتأمل فى هذا الحديث مع إعمال لعقله أن هذا الحديث إنما يصف ويتحدث عن رؤيا قد وافقت رؤى صادقة أخرى، وليس عن قصة واقعية، وقد يبرهن على ذلك ويؤكده ما يلى:

١ - البرهان اللغوي:

يتضح لنا من البيان اللغوى لبعض مفردات هذا الحديث، أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه، إنما كان يحدث أصحابه عن رؤيا قصها عليه تميم الدارى، وقد جاءت موافقة لرؤى صادقة تتعلق بالدجال، كان رأها ﷺ ، ففرح بتأكيد هذه النبوءة من أحد أصحابه فقال: «أتدرون لم جمعتكم.. لأن الداري.. حدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال».

وفى هذا المقطع من الحديث الشريف كلمة «حديث» وكلمة «وافق» وهما كلتاهما تستخدمان فى اللغة العربية عن الرؤيا، فكلمة «حديث» هى المفرد من «أحاديث» التي تعني أيضا الرؤي، كما فى قوله سبحانه وتعالى فى سورة يوسف:

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[يوسف: ٦].

ونجد أيضا لفظة «وافق» التى تعنى هنا بكل وضوح إلى أن لفظة «حديثا» فى هذا

الحديث الشريف تعنى «رؤيا» أى أن تميما الدارى قد حدث رسول الله صلوات الله عليه عن رؤيا صادقة رأها وجاءت موافقة لرؤى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن الدجال التى كان يحدث بها قومه.

٢- الدلائل من عناصر القصة ذاتها:

بإمعان النظر فى قصة تميم الدارى للرسول ﷺ نلحظ بوضوح أنها تحتوى على مجموعة عناصر يستحيل أن تكون مقبولة إلا إذا كانت رؤيا تستلزم التأويل ومنها:

أ- تحتوى قصة الدارى عن أنباء غيبية تتعلق بالرسول وقومه وحروب وبلاد ومواقف سردها الدجال وهى نبوءات ثبت صدقها، وبما أنه يستحيل أن يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى أو من ارتضى من رسول، بوحى منه عز وجل، فإنه لا يصح الاعتقاد بأن كافرا كذابا دجالا يعلم الغيب كالله أو بوحى من الله كنبى صادق.

ب- وفى رواية الدارى نلاحظ أن الجساسة (حيوان) تكلم الناس بكلام فصيح مبين يفهمه الناس، ومن المتعارف عليه أن هذا أمر محال فى الواقع واليقظة كما هو معلوم.

وقد تجدر الملاحظة هنا أن لفظة الجساسة تشير إلى التجسس الذى هو سمة بارزة لدى أمم الحضارة الغربية الاستعمارية ترتيبا على تركيبتها العدوانية.

جـ- وفى هذه الرواية يحكى لنا تميم الدارى أنه قد ركب السفينة مع ثلاثين رجل من لخم وجذام، ولم يرد لنا فى السيرة أو التاريخ أن أحدا من الرجال من القبيلتين المذكورتين قد ذكر شيئا عن هذه الحكاية أو أيدها - مما يشير لنا بوضوح أن المعاصرين لعصر النبوة كانوا يدركون أن رواية الدارى كانت بمثابة رؤيا توافق رؤى صادقة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

د- وفى رواية تميم الدارى ورد أيضا أنه قد كان على ظهر السفينة المذكورة ثلاثون

رجلا – كما تقدم ذكره – وأن الموج قد لعب بها فضلوا عليها فى البحر ثلاثون يوما دون قصد السفر هذه المدة الطويلة ودون استعداد مسبق. فكيف كان يمكن لهؤلاء الثلاثين أن يعيشوا على متنها مدة ثلاثين يوما دون ماء أو طعام كاف طوال هذه المدة الطويلة ودون استعداد مسبق؟ ثم ما هو حجم هذه السفينة فى ذلك العصر التى تتسع لتخزين مؤونة من الماء والطعام وغير ذلك لتكفى ثلاثين رجلا مدة ثلاثين يوما وهل كانت قبيلتا لخم وجذام تمتلكان مثل هذه السفن الكبيرة وهل ذكرت الكتب والروايات المعينة أسماء هؤلاء الثلاثين أو حتى أحدا منهم؟

ثم ما هى هذه الجزيرة التى فيها وحوش أو دواب هُلب متكلمة «كالجساسة»، وأين تقع وأين هذا الدير الذى يوجد فيه هذا الإنسان الخارق المقيد بالحديد حتى يومنا هذا؟

إن هذه الرواية لا يمكن أن تقع إلا فى رؤيا منامية ولا يمكن أن تؤخذ بحرفيتها – لأنها رؤية – يتبين من تأويلها بجلاء بأن الوحش (المسيح الدجال) الذى كان مقيدا بالحديد فى دير فى جزيرة فى زمن رسول الله **إنما هو الكهنوت المتمثل بالتعاليم المخالفة لهدى المسيح الناصرى وتعاليمه الصحيحه.**

وغير خاف أن رجال الكهنوت الذين انطلقوا فى الزمن الحديث للتبشير بتعاليمهم المخالفة لتعاليم المسيح قد انطلقوا على متن حمار الدجال النارى (السفينة البخارية) ثم القطار البخارى ثم الطائرات بأنواعها إلى الهند وإفريقيا وآسيا وأمريكا من بقاع استعمارهم.

أما فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا مقيدين فى الجزيرة البريطانية حامية الكنيسة المسيحية آنئذ، ولم يكونوا قادرين على الانتشار فى الآفاق التى وصلوا إليها فى زمننا الحديث ولا بعد اختراع وسائط النقل الخارقة التى رمز إليها الصادق الأمين

صلوات الله وسلامه عليه باسم (حمار الدجال) كما قدمنا من قبل - فسفكوا الدماء، واحتلوا البلاد، وأذلوا العباد واستحوذوا قسرا على الخيرات ونهبوا عمدا الثروات.

وقد يجدر بنا هنا الإقرار بأن إيراد تفصيل كل بيان فى نبوءات الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه المتعلقة بخروج الدجال لوجدنا أن دقائق وتفاصيل أو تأويل هذه النبوءات تفوق قدرتنا على الإحاطة بجميع ما جاء فيها، وسيتضح لنا جليا أن ثمة نبوءات وآيات لا تزال بانتظار المستقبل ليوضحها ويكشفها للناس فى حقائق إعجازية جديدة تشهد على صدق رسول الله ﷺ ورسالة الإسلام العظيمة، وتدفع المفكرين والمثقفين المخلصين الذين يأبون خداع أنفسهم إلى التصديق برسالة محمد صلوات الله وسلامه عليه والدخول فى دين الله العظيم الإسلام مستدلين بما ورد من إعجازات مبهرة ساطعة فى كافة المجالات، وما جاء فى أحاديث الصادق الأمين من نبوءات إعجازية وقد سطعت جميعا فى القرآن الكريم والسنة الشريفة لتكون برهانا عظيما للعالمين.

ولا ريب أن بحث الدجال أوسع بكثير من أن يغطيه باحث أو مفكر، لما له من صلة بمواضيع كثيرة وهامة جدا.. لذا فإن القصد الذى نبغيه ليس الإسهاب، أو الإحاطة بهذا البحث فهو - وكما نقر - أمرا أكبر بكثير من أى باحث بمفرده، ولكن القصد الأساسى هو الاجتهاد فى البرهان من كتاب الله عز وجل وأحاديث رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه والمكتشفات والحقائق العلمية الثابتة على أن المسيح الدجال قد ظهر، بحسب نبوءات خاتم النبيين ﷺ ، وأنه يعبث الآن فى العالم فسادا.

وغير خاف أنه إتماما للقصد، فإنه ينبغى التعرض بشىء من البحث والسرد التفصيلى لمواضيع أخرى تتعلق بخروج الدجال قد تزيد البحث وضوحا ومنها:

* خروج يأجوج ومأجوج المفسدين فى الأرض وشخصية ذى القرنين الذى

مكنه الله عز وجل قديما من وقف افسادهم فى الأرض ردحا من الزمان كما ورد فى القرآن الكريم.

* طلوع الشمس من مغربها.

* دابة الأرض التى تكلم الناس.

وهى جميعا قد جاء ذكرها فى القرآن الكريم والحديث الشريف - وقد يجدر التذكير هنا إلى ضرورة الانتباه إلى حقيقة صلة هذه الأمور بسورة الكهف التى تتحدث ببيان رائع عن حقيقة الدجال ويأجوج ومأجوج وصلة ذلك بالإسلام ودعوة الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه، كما أنها تبين المصير المحتوم لأمم الدجال (يأجوج ومأجوج العصر الحديث) وظهور الإسلام كدين عالمى واحد فى نهاية المطاف يجمع الناس على قمة القضية الإيمانية وهى الوحدانية الأحدية للعلى القدير أى يوحدهم على دين محمد مصداقا لوعد الله الحق فى القرآن المجيد:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[التوبة: ٣٣].

وفيما يتعلق ببحث الدجال ويأجوج ومأجوج وشخصية ذى القرنين فإنه يمكن تلخيص مضمون سورة الكهف فى هذا الخصوص لمن أراد أن يتمعن فى معانيها بما يلى:

أ- تبدأ هذه السورة ببيان العلى القدير عز وجل أنه قد أنزل القرآن الكريم ليزيل ويمحو به الأخطاء والتحريفات التى تسربت إلى الكتب السماوية السابقة، ولينذر ألذين يعتقدون باطلا أن الله سبحانه وتعالى عما يصفون وعما يشركون قد اتخذ ولدًا، وينشرون هذه العقيدة الباطلة فى الأرض ويضطهدون مخالفيها. وتبين السورة أنهم بفعلهم هذا إنما يجلبون على أنفسهم غضب الله الذى سيحل

بهم وينهى ظلمهم واستبدادهم وعقيدتهم الباطلة، إلا أن نهايتهم، بالرغم من كرههم للإسلام لن تكون كبدايتهم. فقد كانوا فى بداية عهدهم ضعفاء وعرضة للاضطهاد الشديد فرحمهم الله وأنقذهم من تلك المصائب والشدائد ووضعهم على طريق الازدهار والتقدم. ولكنهم عندما أنعم الله عليهم بالغنى والرخاء، انغمسوا فى أعمال وثنية وانكبوا على الدنيا وملذاتها وتاهوا فيها ووقفوا من التوحيد الحق والإيمان الحق موقف الظلم والعداء بدلا من أن يخلصوا دينهم وإيمانهم وأعمالهم لله وحده.

ب- وتحذر السورة المسلمين، وتحثهم على أن يعوا أنفسهم ويتعلموا الدرس من هذه الأقوام الضالة ويحذروا - وهم لا يزالون فى مرحلة القوة والمجد - من أخطار ثلاثة شرور هى:

- تقاعسهم فى عبادة الله الواحد الأحد الحقة.
- التهافت على متاع الدنيا وزينتها والطمع والحب الشديد للمال.
- الاستغراق فى الرفاهية.

ونجد فى مثال «الرجلين» صورة واضحة لقوة وغنى الشعوب غير الإسلامية التى لا تؤمن بالوحدانية الأحدية ومجدها وضعف وفقر وانحدار المسلمين، حيث نجد الرجل الغنى صاحب الجنتين يتباهى بغناه ويتفاخر على الرجل الفقير بازدراء واحتقار. ويبين المثل أن تفاخر الرجل الغنى (الأمم الغربية) بثروته وماله وكثرة عدده سوف ينتهى فى نهاية المطاف بكارثة هائلة تنزل عليه من السماء فتجلب له الحزن والأسى وتؤدى إلى انحطاطه وزوال مجده وعظمته ودمار حضارته المادية الظالمة.

ج - وتبين السورة بحثها فى انحدار الشعوب المسيحية الأول وانهيارها، وقيام

الإسلام وانتصاره، ثم توضح الأوضاع التى ستتبع انتصار الإسلام فتنبأنا بأنه سيأتى وقت على المسلمين يبتعدون فيه عن الدين الحق، ويليهم حب الدنيا ومتاعها وسعيهم وراء الثروات. وعقابا لهم على ذنوبهم وضلالهم سيهب الله التقدم والقوة مرة أخرى لخصومهم من الشعوب غير الإسلامية.

د- كما يتبين من السورة الأحداث التى تتبع ذلك ببيان أن دمارا عظيما سيصيب الأرض، وتنقسم شعوب الأرض إلى قوتين يموج بعضهما فى بعض، ويدمر بعضهما بعضا بعد أن يكونا قد تسببا فى تفشى الظلم والاستبداد والفساد إلى أقصى درجة. ولكن عندما تصل الأمور إلى هذا الحد الأقصى فإن العلى القدير سوف يخلق ظروفا من عنده ويهىء الأسباب لصد هذا الطوفان المدمر الذى بات يهدد بفناء العالم وبدا وكأنه لا قدرة لأحد بالتصدى له.

هـ- كما تشير السورة مؤكدة على أن المؤمنين فى العالم سيقفون سدا منيعا فى وجه ضلال وطغيان المفسدين فى الأرض (يأجوج ومأجوج) ويكسرون بعون الله شوكتهم، تحت قيادة قائد عظيم صالح عادل من عباد الله المتقين مكنه الله عز وجل وهىء له الأسباب (ذو القرنين) فينصر الله دينه ويعلى كلمته.

وقد يجدر الذكر أن ما قدمناه ليس تفسيرا لسورة الكهف، وإنما هو فحسب إشارة مختصرة إلى ما ذكر فيها ويتعلق ببحث الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وشخصية ذو القرنين.. ويمكن للمهتم بالتفسير التفصيلى القيام بدراسة السورة بنفسه ومراجعتها فى التفاسير لإدراك ما فيها من بيان ونبوءات.